

١٠٢ سلم

الإسلام وبناء المجتمع

د. عبد الله الرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه المقدمة ستكون في تفسير قوله تعالى: (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة) هذه الآية هي في سورة الروم وهي تعقيباً على حدث من الأحداث التي وقعت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وجاء القرآن معلقاً على هذا الحدث.

يقول الله عز وجل: (الم . خلبك الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلفه الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) .

فموضوع هذه المقدمة هو تعليق أو وقفات حول هذه الآية التي وردت في ساق التعقيب على هذا الحدث الذي ذكر في سورة الروم ، وفي خلاصة ما ذكر في قصة نزول هذه الآيات:

أن الفرس والروم في ذلك الوقت كانت من أقوى دول الأرض ، وكان بينهما من الحروب والقتال ما يكون بين الدول المتنافسة ، بمعنى أن الفرس والروم كانت من الدول العظمى في ذلك العصر وبينهما صراع الحرب بينهما **سجال** ، وكانت الفرس عبدة النار فهم مشركون لأنهم يعبدون النار والروم أهل كتاب يدينون بالتوراة والإنجيل ، فكان الروم نظراً لأنهم أهل كتاب أقرب إلى المسلمين من الفرس ، وكان المشركون في اشتراكهم والفرس يحبون ظهور الفرس على الروم ويفرحون بانتصار الفرس على الروم ، والمسلمون بخلاف ذلك كانوا يحبون الروم على الفرس ويفرحون بانتصار الروم ، لأن الروم أقرب إليهم من الفرس .

فحصل أن انتصر الفرس على الروم وغلبوهم غالباً لم.....لملكهم وإنما كان في أدنى أرضهم ففرح بذلك مشركو مكة وحزن لذلك المسلمون ، فجاء القرآن الكريم يواسي المسلمين ويبشرهم بانتصار الروم ، فأُنزل الله عز وجل هذه الآيات (خلبك الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) .

إذن سيغلبون خلال كم؟ قال الله عز وجل: (في بضع سنين) والبضع عند العرب من الثلاثة إلى التسعة مادون العشرة وما فوق الثلاثة، فجاء المشركون إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقالوا: ألم تر صاحبك كيف يزعم بأن الروم ستنتصر على الفرس؟ فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: صدق، فقالوا: هل تراهننا؟ قال: نعم يعني أن يكون بينهم وبينه عوض يدفعه من لم يصدق خبره لمن صدق خبره.

فاتفق معهم أبا بكر على عوض معين يدفع بعد مضي سبع سنين ، فإذا مضت ولم تنتصر الروم فإن أبا بكر رضي الله يدفع لهم هذا العوض من الإبل التي اتفقوا عليها أما إذا انتصرت الروم فإنه يأخذ منهم ما اتفقوا عليه ، فاتفق مع

المشركين على هذا العوض ومضت سبع سنين ولم ينتصر الروم ، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، وأن أبا بكر راهن المشركين على سبع سنين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما تعدون البضع؟" -يعني كم قدره في لغتكم؟ فقالوا: ما دون العشرة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: "مد في الأجل وزد في العوض" فزاد في الأجل ولم تمض تسع سنين حتى انتصرت الروم على الفرس كما وعد الله سبحانه وتعالى .
ولذلك يقول الله عز وجل: (في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلفه الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون .)

فتريد أيتها الأخوات أن ننطلق من هذا الحدث الكبير الذي حدث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان من شأنه ما ذكرت لكم تعليق على هذه الآيات والتي كان لها تعلق بما نحن بصدد وما أريد التنبيه والإشارة إليه في هذه المحاضرة:
أولاً:

نلاحظ في أسلوب القرآن الكريم أن القرآن لم يقف للمسلمين وخصومهم عند هذا الحدث البسيط في هذه الأرض الصغيرة المحدودة وإنما كان هذا الحدث مناسبة ينطلق منها القرآن الكريم إلى آفاق أبعد تتجاوز تلك الحاجة المؤقتة الذي مر على هذه الأرض إلى الحديث عن القيم والتصورات لدى المسلمين ، فأراد القرآن الكريم أن ينقل المسلمين من هذا الحدث اليسير الذي هو انتصار الفرس على الروم ثم انتصار الروم على الفرس وفرح المشركون في أول الأمر وفرح المؤمنين في آخر الأمر بنصر الله عز وجل ، أراد القرآن أن يتجاوز هذا الحدث اليسير إلى ما هو أبعد فما الذي حصل في تعليق هذه الآيات ؟

حتى نقلت المسلمين من عالم المادة في النصر والهزيمة إلى عالم الفكر والروح وإلى آفاق أبعد وأوسع من الحدث نفسه ؟ فمن خلال هذا الحدث جاء القرآن ليقرر عدداً من القواعد ، ويوصل عدداً من المفاهيم والتصورات ، ويشير إلى إichاعات مهمة وردت في سياق التعليق على هذا الحدث.

أول هذه الإichاعات:

أن في هذا الحد ذلك الترابط بين الشرك والكفر في كل مكان وزمان إمام دعوة التوحيد والإيمان مع أن الدول في ذلك الوقت لم يكن بينها وسائل اتصال متيسرة ، ولم تكن متقاربة ، بحيث يسهل معرفة ما يجري في البلاد الأخرى ويمكن التواصل معها بشكل سريع ، ولم تكن الأمم وثيقة الصلة كما هو الشأن في العصر الحالي ، فحتى يصل الخبر من بلاد فارس بانتصار فارس على الروم يحتاج إلى شهر في الطريق حتى يصل الخبر فليس هناك وسائل اتصال ولا علاقات

وثيقة مترابطة ومع هذا فإن المشركين في مكة يحسون انتصار المشركين في أي مكان على أهل الكتاب هو انتصار لهم ، وكذلك كان المسلمون في مكة هم الفئة القليلة في الأرض كانوا يحسون بأن هناك ما يربطهم بأهل الكتاب ، وكان يسوؤهم أن ينتصر المشركون في أي مكان.

كان المسلمون وهم في قلة و ضعف في أودية من الأرض ، كانوا يدركون أن دعوتهم وقضيتهم ليست بمعزل عما يجري في أنحاء الأرض وليست بعزل عن كل حدث في قضية الكفر والإيمان هذه الحقيقة المهمة التي يغفل عنها الكثير من المسلمين اليوم ، ولا ينتبهون إليها كما انتبه المسلمون والمشركون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم منذ أكثر من ١٤ قرن ولذلك تجد كثير من المسلمين يحصرون أنفسهم داخل حدود جغرافية أو إقليمية أو جنسية ، ولا يدركون أن قضية الصراع هي في الحقيقة قضية الكفر و الإيمان وأن المعركة في الحقيقة هي معركة بين حزب الله وحزب الشيطان ! .

ما أوحى المسلمين في كل العصور أن يدركوا هذه الحقيقة ! خاصة في هذا العصر تكالبت فيه الأمم على أمة الإسلام ، ما أوحىهم إن يدركوا هذه القضية إدراكاً جيداً ! ويعرفوا طبيعة المعركة والصراع بين الحق والباطل والكفر والإيمان ، ولا يندفعوا بالشعارات الزائفة التي ترفعها دول الكفر من خلال تجمعات ومنظمات أياً كانت هذه الأسماء، وليدركوا أن الحقيقة التي جاء بها القرآن أن الصراع بين الكفر والإيمان والحق والباطل.... واليكم هذا المثال القريب من واقعنا..

القضية الفلسطينية كانت قضية إسلامية ، وتحولت إلى قضية عربية ، ثم انحسرت لتكون قضية فلسطينية وهي شأن الفلسطيني لا شأن للعربي ولا المسلم بها يا عجباً !

إذا كانت فلسطين أرض الأنبياء ومهد رسالات الأرض المباركة مسرى محمد صلى الله عليه وسلم إذا كانت شأن فلسطيني خاص ، فيا ترى أي قضية ممكن إن تكون قضية إسلامية عالمية أهي قضية العراق أم الشيشان أم أفغانستان أم غيرها من القضايا ؟

إن أولى القضايا العالمية هي القضية الفلسطينية ومع ذلك دخلها في نفوس كثير من المسلمين قدراً كبيراً من انحسار مفهوم العالمية لتصبح قضية محدودة ، بحيث إن المسلم العربي أو المسلم الهندي لا يرى عليه مسئولية كبيرة تجاه فلسطين.

وإن رأى إن من حق فلسطين التعاطف أو الشعور البارد ليس هذا الذي أعنيه وإنما الذي أعنيه أن تكون قضية فلسطين قضية حاضرة في عقل المسلم وقلبه وفي نبضاته تسري في دمه كقضية إسلامية مركزية تدور رحى الحرب على إحدى المقدسات الإسلامية .

على كل حال هذا نموذج لتوضيح الفرق بين المسلمين في مكة وبين المسلمين المعاصرين الذين يسعى العدو إلى أن يبعد قضاياهم المهمة والكبيرة عن دائرة الاهتمام والمتابعة .

الإيحاء الثاني:

هو تلك الثقة المطلقة بوعده الله كما تبدو في مقالة أبي بكر لما قالوا له: إن صاحبك يزعم أن الروم ستنتصر فقال أبو بكر رضي الله عنه من غير تلعثم ولا تتردد ، قال بكل ثقة: " صدق " ، وكان على استعداد لأن يراهنهم على هذا الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذه الثقة المطلقة على هذا النحو الرائع هي التي ملأت قلوب المسلمين قوة وبقيناً و ثباتاً في وجه الآلام والمحن والعقبات التي واجهتهم في هذا الطريق حتى تمت كلمة الله وتحقق وعده سبحانه ، هذه الثقة واليقين والاطمئنان إلى وعد الله هي عدة كل مجاهد وكل داعية وكل مسلم لمواجهة هذا الطريق الشاق وإذا كانت الأمة بحاجة إلى هذا المعنى ، فهي اليوم أحوج مما تكون إليه في ظل مرحلة الضعف التي تمر بها.

الإيحاء الثالث:

وهو إيحاء مهم في الجملة المعارضة التي وردت في سياق الخبر هو (تلبس الروم في أذن الأرض وهم من بعد تلبسهم سيغلبون في سبع سنين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله).

وورد بعد هذا الخبر جملة اعتراضية بقوله تعالى: (لله الأمر من قبل ومن بعد في هذا الحادث وفي غيره من الأحداث ، هذه الحقيقة الكلية في الميزان الذي يزن به المسلم كل ما يقع في هذا الكون من نصر وهزيمة وما يقع من ظهور الدول وزوالها وضعفها وقوتها ، بل كل ما يقع في هذا الكون فإله سبحانه له الأمر من قبل ومن بعد من قبل وقوع هذا ومن بعد وقوعه لله الأمر من قبل ومن بعد ، ولذلك فالأمة بحاجة إلى التسليم المطلق لله سبحانه فيما يرضيه ويشاؤه سبحانه لأن الله هو القادر القاهر الذي له الأمر كله واليه ترجعون.

الأمر له كله سبحانه ومع اليقين بهذه القضية الله له الأمر كله من قبل ومن بعد إلا أن هذا الاطمئنان وهذا الرضا وهذا التسليم لا يعارض الأخذ بالأسباب ، فلا يصح أن تستكين لتفتك بنصر الله وأن الأمر له سبحانه الأسباب لان الأسباب مأمور بها العبد والله الذي وعد بالنصر وله الأمر كله ، هو الذي أمر بالأخذ بالأسباب وهو الذي قال سبحانه: (واعمدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم).

فإنه الذي أمر بفعل الأسباب ولا منافاة بين فعل السبب والتسليم والاعتماد على الله سبحانه وتعالى ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى مع ما يؤتية العبد من الأسباب فإنه سبحانه يأمر بأن لا يتكل على هذه الأسباب ولا يعتمد عليها ، وإنما يعتمد على الله ولذلك في غزوة بدر وقد نزلت الملائكة لتقاتل مع المسلمين إلا إن الله عز وجل أراد إن يؤكد إن ما تحقق من النصر وما يتحقق إنما هو من عند الله ولذلك...عقب على نزول الملائكة بقوله: (وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) فالنصر ليس بهذه الأسباب ولكن الأخذ بالأسباب مطلوب من الله سبحانه وقد أمر به.

الإيحاء الرابع:

ومن المسائل المهمة التي عرضت لها الآيات ووهي التي تقرينا الآن من الفكرة التي نريد تقريرها في هذه المحاضرة هي قوله سبحانه وتعالى: (وعد الله لا يخلفه الله وعده).

هذا النصر الذي جاء في سياق الآيات وهو انتصار الروم على الفرس هو وعد من الله سبحانه وتعالى ، ووعد لا يخلف لأن الله هو القادر القاهر فوق عباده ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه فإله سبحانه إذا وعد فان وعده لا يخلف لأنه قادر على إنفاذه ، عالم بوقوعه سبحانه وتعالى فلا يمنع تحقق هذا الوعد مانع فإنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

الله سبحانه وتعالى لا مانع لما أعطى في كل جوانب الحياة في جوانب الماديات والمعنويات ولا معطي لما منع سبحانه كونه سبحانه هو القادر القاهر فوق عباده ، وهو الذي يقول للنبي كُنْ فَيَكُونُ فذلِكَ مَا حَصَلَ فِي سِيَاقِ هَذَا الْحَدِيثِ هُوَ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ وَبَعْدَ مَرُورِ سَبْعِ سَنِينَ وَلَمْ يَحْقُقْ هَذَا الْوَعْدَ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْنِ أَوَانَهُ الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ وَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ اطْلُبْ مِنْهُمْ أَنْ يَمْدُوا فِي الْأَجْلِ وَيَزِيدُوا فِي الْعَوْضِ.

والمقصود انه حتى يصل الأجل إلى البعض الذي ذكره الله سبحانه وعلق الوعد به ، هذه الحقيقة أيتها الأخوات الأمة بحاجة إلى إن تستقر في نفوسها هذه الحقيقة لأن الله وعد المسلمين في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، والله سبحانه وتعالى وعده لا يخلف ، فوعد المرسلين وأتباعهم بالنصر فقال تعالى: (ولقد صدقتم حلفتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون).

ويقول الله عز وجل: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لآيات لقوم عابدين).

ويقول الله عز وجل (كتبنا الله لأهلين أنا ورسلي إن الله لقوي عزيز).

ووعده الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بالنصر والتمكين ليس مختصاً بزمن معين وليس خاصاً بزمن الرسالة دون ما جاء بعده من الأزمنة ولكن هذا الوعد الرباني معلق بصف ليس معلق بزمن متى تحقق الوصف تحقق هذا الوعد ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: (ولينصرون الله من ينصره) ويقول: (إن تنصروا الله ينصركم)

فهي معلقة بوصف حتى مع وجود قوى كبرى في العصر الذي يعيش فيه المسلمون هذه هي الحقيقة يجب أن تستقر في النفوس وان وعد الله سبحانه لا يخلف ولا يتخلف حين تتعد أسبابه التي هي من العبد فحين ينصر العبد ربه فإن الله ينصره ، وحين يحقق العبد ما أمر الله به من أسباب النصر يحقق الله عز وجل له التمكين في الأرض: (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور).

وخذي أيتها الأخت النموذج الذي هو يشبه إلى حد كبير ما تمر به الأمة الإسلامية اليوم
فما هو أكبر خطر مر على الأمة الإسلامية منذ نشأتها إلى اليوم؟

أن أخطر حدث في اعتقادي هو موقعة الأحزاب- موقعة الخندق- وشيبه بها محاولة قتل النبي صلى الله عليه وسلم في مكة أو في طريقه إلى الهجرة عليه الصلاة والسلام ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الفئة المؤمنة هي التي تمثل الإسلام كله في الأرض ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر: "اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض".

هذه الكلمة هل يصح أن تطلق اليوم على حرب تقوم على المسلمين في أي أرض؟

فهل يصح أن نقول على الغزو في العراق اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض؟

هل يصح أن نقول هل في الشيشان أو فلسطين أو في أفغانستان أو في غيرها من الأرض؟

طبعاً لا ، إن الإسلام انتشر في تلك الأرض إما في ذلك العصر وبخاصة في تلك الأزمنة الكبيرة التي مرت بالمؤمنين كما أخبر الله عز وجل في كتابه: (إذ جاءوك من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ ضرب الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً).

يوم أن أحرق قوى الشرك المدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم ، وخان اليهود العهد في داخل المدينة ونجم النفاق ظهر المنافقون وبقيت هذه الفئة القليلة من المؤمنين في حالة من الرعب وشدة الخوف وشدة الظلمة في تلك الليالي القارصة وكانت الأوضاع كما أخبر الله سبحانه وتعالى ، هنا أيتها الأخوات يأتي هذا النموذج فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم بما كان في حفر الخندق فتعرض المسلمون صخرة في طريقهم في الحفر فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم يكسر هذه الصخرة وضرب الضربة الأولى وبشر النبي صلى الله عليه وسلم بفتح كنوز كسرى ثم ضرب الضربة الثانية وبشر النبي صلى الله عليه وسلم بفتح كنوز قيصر، تعرف كسرى وقيصر من أكبر كنوز الدنيا في ذلك الوقت ، ثم

ضرب الضربة الثالثة وبشر النبي صلى الله عليه وسلم بفتوحات اليمن ومع ذلك وبعد هذه بالذات بعد هذه الوعود الكبيرة الضخمة ، التف المشركون حول المدينة وكثرت الخيانات وظهر النفاق فكان ضعف شديد....

وهنا بالضبط ظهر الإيمان (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا نخروا). يقولون محمد عليه الصلاة والسلام يعدنا بكنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يستطيع أن يذهب لقضاء حاجته ، ولذلك كان المنافقون في ذلك الوقت يقولون عن المؤمنين (نر هؤلاء دينهم) صدقوا هؤلاء أن محمد صادق في خبره! كيف يوصلون كنوز كسرى وقيصر ! ونحن لا نستطيع الذهاب لقضاء الحاجة ! كيف تعد الناس بفتح كنوز كسرى وقيصر! إنما اليوم أيتها الأخوات نعيش مرحلة جديدة إلى حد كبير والمنافقون اليوم يقولون (نر هؤلاء دينهم) هؤلاء يحلمون في النصر على الدول الكبرى اليوم هؤلاء يطمحون في الجنة.... الخ بالضبط كما قال المنافقون الأولون (نر هؤلاء دينهم).

ومع إن الحدث واحد إلا أن أحوال الناس الذين عاشوا هذا الحدث في ذلك الوقت اختلف بحسب ما بقلوبهم من الإيمان ، ففي الوقت الذي يقول فيه المنافقون (ما وعدنا الله ورسوله إلا نخروا). كان حال المؤمنين الأولين حال أخرى مختلفة جداً حيث يقول الله عز وجل عنهم: (ولما رأى المؤمنون الأحزاب ما قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً)؟

انظر لما جاء الأحزاب ازدادوا إيماناً وتصديقاً ، انقياداً ويقيناً وثقةً وبقيناً بوعده الله ، وأولئك المنافقون لما رأوا الأحزاب ظهر عليهم التكذيب والشك والسب والتعيير واليوم تعود الصورة كما كانت تظهر مقالات الناس بحسب أحوالهم فالمؤمنون الذين يدركون جيداً معنى قوله سبحانه (وعد الله لا يخلفه الله ووعده). كيف يخلف الله وعده وهو القادر القاهر ما الذي يمنعه من إنفاذه الذي يقول للشيء كن فيكون (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون).

أمره سبحانه بين الكاف والنون ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، الأمة بحاجة أيتها الأخوات في هذا العصر إلى يقين وإلى هذه الثقة والطمأنينة ثم بعد ذلك يقول الله: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وهذه المسألة مهمة ، أكثر الناس لا يعلمون، لماذا أكثر الناس لا يعلمون ؟

لأن العلم الحقيقي لهذه القضية يحتاج الإيمان بأن الله سبحانه هو القادر القاهر لا بد من الإيمان الذي يجعل المرء يعرف طبيعة هذا الكون ومن المتصرف فيه من الذي يدير هذا الكون الضخم من الذي يحركه؟ ويأمر فيه وينهى؟ انه الله رب

العالمين أن الذي لا يؤمن بهذه الحقيقة هو في الحقيقة لا يعلم ما سبق ذكره أن الله لا يخلف وعده ، ولذلك المؤمنون في الناس هم قلة ، المؤمنون الذين يملكون هذا التصور الصحيح للكون وللحياة وللإنسان هم قلة ، لذلك قال الله تعالى: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

وجاء القرآن يوضح هذا المعنى ، ما معنى إن أكثر الناس لا يعلمون ؟ كيف لا يعلمون؟ هؤلاء وهم قد صنعوا القنبلة الذرية وهم قد اخترعوا الحاسبات العجيبة شرائح صغيرة فتستوعب ملايين الصفحات وآلاف الصور واللقطات وحركة الاتصالات واختراعات ثم بعد ذلك تقول عن هؤلاء لا يعلمون ، انه قد يرد في الذهن هذا المعنى أن أكثر الناس لا يعلمون فجاء القرآن الكريم يوضح هذا المعنى فقال: (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) وهذه الدنيا على ضخامتها وسعتها وتنوع الأحوال فيها فهي صغيرة جداً إلى هذا ، قياساً إلى هذا الوجود الهائل والكون الشاسع ، فمهما بدا للناس أن هذه الحياة الدنيا كبيرة وضخمة تستغرب جهودهم ولا يسعون فيه إلى حد ينتهون إليه ومع ذلك هذه الحياة الدنيا طرق صغيرة ونقطة ضئيلة في هذا الوجود الهائل ، هذا الكون الذي تحكمه نواميس لكن في كين هذا الوجود وتركيبه ، غرسها الله سبحانه وتعالى هذه السنن وهذه النواميس وهؤلاء (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا).

لا يعلمون الحياة الدنيا ولكن يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، ولذلك يقول الشيخ بن سعدي رحمه الله في التعليق على هذه الآية : " من العجب أن هذا القسم من الناس الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في أمور الحياة الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب واطهر من العجائب الذرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به و برزوا وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم عاجزا عن ما أقدرهم الله عليه فنظروا إلى غيرهم بعين الازدراء والاحتقار وهم مع ذلك ...الناس في أمر دينهم غفلة عن آخرتهم وأقلهم معرفة بالعواقب ، سبحانه الله مع هذه المعرفة بظاهر الحياة الدنيا إلا أنهم في ضلال مبين وفي جهل عميق بحقيقة الدنيا وبطبيعة الدنيا ولذلك قد تجد الهندوسي المبتكر لعدد من براءة الاختراع في الحاسب وتقنياته ثم بعد ذلك يعبد بقرة ! أين عقله ؟ الذي ابتكر به و فكر به في هذه التقنيات الدقيقة الشائكة أين عقله ؟ لم يهتد به إلى الحق وإلى الخير وإلى الهدى ! فإنه قد أوتي بصراً لكنه لم يؤت بصيرة ولذلك قال الله عز وجل : (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) فهم لا يعلمون حقيقة الحياة الدنيا ، فالظاهر هم علماء وأنهم يعرفون الكثير لكن في الحقيقة علمهم علم سطحي ونظريهم نظر ساذج يتعلق بظواهر الحياة ولا يتعمق في سننها الثابتة وقوانينها ولا يدرك نواميسها التي غرسها الله فيها (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) ولكن هم لا يتجاوزون هذا الظاهر ، ولا يرون ببصيرتهم ما وراء هذا الظاهر في الحياة الدنيا لذلك قال الله عز وجل بعد ذلك : (وهم عن الآخرة هم غافلون).

هذه القضية مهمة جداً فالآخرة حلقة في هذه الحياة التي يحيها الإنسان ، الآخرة صفحة من صفحات الوجود ، والذين لا يدركون طبيعة هذه الحياة بمراحلها المختلفة لا يدركون حقيقة هذه الدنيا وطبيعتها ، هؤلاء يغفلون عن الآخرة ولا يقدرونها قدرها ولا يحسبون لها حسابها ، **والغفلة عن الآخرة دركات** فليست في مستوى واحد :

هناك غفلة عن الآخرة: **غفلة المكذبين المنكرين للبعث** الذين يرون أن هذه الدنيا هي نهاية المطاف ، وهؤلاء لهم شأن ولهذا الغفلة آثارها الظاهرة عليها من الوحشة التي يجدونها في قلوبهم والحيرة والقلق والضلال عن المصالح الحقيقية لهم ، نتيجة لهذه الغفلة **التحكمة** المستكنة في التكذيب في الحياة الآخرة.

وهناك غفلة أقل منها ولكنها تعد غفلة وهي ما يقع للمسلم على مستوياتهم المختلفة من الغفلة عن الآخرة ، فالفتاة المتبرجة التي تخالف أمر الله عز وجل إنما بعثها على هذا غفلتها عن الآخرة ، والمرأة المسلمة التي تخالف أمر الله في سمعها أو بصرها أو حديثها أو لباسها أو في جميع أحوالها هي في الحقيقة في غفلة عن الآخرة ، ولو تذكرت الآخرة وأدركت حقيقتها وطبيعتها لما وقعت في ما وقعت فيه ، لكن ما وقعت فيه هو نتيجة الغفلة (وهم عن الآخرة هم غافلون).

والغفلة عن الآخرة أيتها الأخوات تجعل كل المقاييس بيد هذا الغافل ، وكل القيم تتأرجح ، **فالغافل عن الآخرة لا يملك التصور الحقيقي للحياة** و أحداثها وقيمها ، لا يملك التصور الحقيقي عن الإنسان وقيمه في هذه الدنيا ، لا يملك التصور الحقيقي لهذا الكون الذي يعيش فيه لأن حساب الآخرة في ضمير الإنسان يغير نظرتة لكل ما يقع على هذه الأرض ، فحياة الإنسان هي مرحلة قصيرة وقصيرة جداً من رحلته الطويلة في الكون ونصيبه في هذه الأرض ما هو الأقدر ، زهيد من نصيبه الذي أراد الله له في هذا الوجود والأحداث والأحوال التي تتم في هذه الأرض ما هي الأفضل صغير من الرواية الكبيرة ولا ينبغي للإنسان أن يبنى حكمه على مرحلة قصيرة من الرحلة الطويلة ، ولا على قدر زهيد من النصيب الضخم ، ولا على فصل صغير من الرواية الكبيرة لأنه إذا بنى نصيبه على نقطة صغيرة وزاوية ضيقة فإن هذا الحكم لن يكون موافقا للصواب.

ولذلك لا يمكن أن يلتقي إنسان يؤمن بالآخرة ويحسب لها حسابها مع إنسان آخر لا يؤمن بالآخرة ، وإنما يعيش لهذه الدنيا ولا ينظر إلى ما وراء هذه الدنيا ، لا يمكن أن يلتقيان لتقدير أمر من الأمور أو الحكم على حال أو صورة من الصور ، ولا يمكن أن يلتقوا على قيمة واحدة من القيم الكثيرة التي تحكم هذه الحياة فلكل واحد منهما ميزانه ، يرى أن النهاية في هذه الحياة الدنيا فإنه لاشك سيحرص على أن يأخذ من شهواتها ما

استطاع ، يأخذ من أموالها ما استطاع لأنه إذا مات انتهى كل شيء ، فتجده يغش ويظلم ويسرق ويعتدي ويمارس ألوان الفجور ويستمتع بكل ما يمكنه الاستمتاع به دون النظر إلى ما وراء الموت ، لأنه لا يؤمن به وأما الآخر فستجد انه يتزك كثيراً من شهواته ، ويزهد في كثيراً من ملذات الدنيا طمعا ورغبة في فضل الله سبحانه في الآخرة ، فتجد المرء مسلم يكون بين يديه المال الشائك إذا أخذ منه لم يكتشف أمره ولم يعرف به ولكنه أمين عليه لماذا؟

لأنه يدرك انه مسئول في الآخرة وأن الله مطلع عليه ، وان الدنيا ليست نهاية المطاف ولكنها بدايتها.

ولذلك أيتها الأخوات إذا أردت أن تعرفي الفرق بين الدنيا والآخرة ، وبين من يركز نظرة على الدنيا ويكون همه ظاهر الحياة الدنيا فالفرق كبير جداً ، حتى في الممارسة هذه النظرة وهذا التصور أثر على أسلوبه في الحياة وعلى طريقته في التعامل مع الناس وعلى كل شئونه وأحواله ، خذي هذا المثال لتقريب الصورة الآن لو أن واحد غمس إصبعه في البحر ثم أخرجه وأخذ نقطة واحدة ، السؤال كم تساوي هذه القطرة من هذا البحر الخضم؟ كثير من الأخوات يقولون لا تساوي شيء لكن هي تساوي شيء ضئيل وزهيد جداً ، لماذا لأن البحر مجموعة من هذه القطرات ، لكن كم من قطرة يتشكل منه هذا البحر مليار قطرة تريليون قطرة ، لا يمكن أن تتصور عدد هذه القطرات لكنه على كل حال نسبة الماء بين هذه القطرة والبحر مهما كانت ضئيلة ولكن الفرق بين الحياة الدنيا والآخرة أكبر من الفرق بين هذه القطرة وماء البحر لأننا نقيس محدود إلى محدود ، ولكن في الصورة الثانية لما نقيس الحياة الدنيا بالآخرة نقيس محدود الغير محدود ، فمثلاً من يعيش هذه الدنيا يعيش خمسين سنة، مئة سنة، هل سمعتم بمعمر أو معمرة عاش أكثر من مائة سنة إلى الأبد ، كم نسبتها لا يمكن أن تضع نسبة بين محدود وغير محدود !

نأتي الآن إلى ذكر بعض الصور التي نتجت عن هذه الرؤيا كما قلنا بأن الذي يؤمن بالآخرة لا يلتقي أبداً مع الذي لا يؤمن بالآخرة في النظر للأشياء والحكم عليها ، لذلك تصورات المسلم وتصوره للحياة والإنسان والكون تصور غيرة فمن يرى أن الحياة هذه ما هي إلا مرحلة ضرب الله سبحانه لها مثل في قوله سبحانه: (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا).

تصوري معي هذا المثل ببساطة ينزل المطر ويظهر النبات ثم يصفر ويبيس وتدوسه الأقدام وتذروه الرياح ، إن هذا المشهد يمثل الحياة الدنيا كما وصفها الذي خلقها سبحانه وتعالى ، ولذلك ستجد المرء المؤمن بما وراء هذه الدنيا يضحى بنفسه فداء لدين الله عز وجل وهذا **حرام بن ملحان** كما في صحيح البخاري لما ذهب يبلغ دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى بعض القبائل أشار رجل منهم أن اطعنه ف جاء الرجل خلف حرام بن ملحان وهو يتحدث عن دعوة النبي عليه الصلاة والسلام وطعنه بالرمح من ظهره وظهر الرمح من صدره وبدا يتدفق الدم فأخذ حرام الدم ، ومسح به على رأسه وهو يقول فزت ورب الكعبة ، فعجب هذا الرجل الذي ضربه ، فيقول: أنا أضربه مورد الهلاك وأرسله إلى الموت ، ويقول فزت ! أي فوز تحقق له ! فلما فكر الرجل في هذه الكلمة أسلم وعرف أن حرام بن ملحان قد فاز بها ، أن حرام بن ملحان لم يكن نادماً فهذه النقلة التي انتقلها لأن إخوانه من الصحابة ومن جاء بعدهم من المسلمين يتسابقون إلى الموت في سبيل الله انه لفرق كبير بين من ينظر إلى آمام بعيدة وافق أوسع في هذه الدنيا وبين من يضع نظره تحت قدميه ولا ينظر بعد هذه الدنيا.

وهذا **خبيب بن عدي** رضي الله عنه لما أسره المشركون وكانوا يسألونه وهو في هذه الحال وهو يعرض على الموت فقالوا له: أتحب أن محمد مكانك وأنت معافى في أهلك ومالك ؟ فقالها كلمة صادقة يودع بها هذه الدنيا: والله ما أحب أن أكون معافى في أهلي ومالي ويشاك رسول الله بشوكة قط ! يعني أنه ما يحب أن ينجو من هذا الموقف ويشاك رسول الله بشوكة فبعدها سفيان يقول ما رأيت أحد يحب أحداً كما يحب أصحاب محمد محمداً عليه الصلاة والسلام ، فقتل خبيب وهو ينشد:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وان يشأ يبارك على الأغصان ممزعي

لو كان خبيب لا يرى بعد هذه الدنيا حياة لتمنى أن يكون في أهله وماله ، ولو هلك الناس كلهم ولكنه يعد لمرحلة بعد هذه المرحلة ، وهي أهم من هذه المرحلة وهي أرقى من هذه المرحلة ولذلك يقول النبي عليه السلام مبيناً العلاقة بين هذه الدنيا وبين الآخرة وما فيها من النعيم أو العذاب في الآخرة مقابل النعيم أو الأذى الذي يقع في الدنيا يقول عليه أفضل الصلاة والسلام: "يؤتى بأهمل الدنيا من أهل النار يوم القيامة " أنعم أهل الدنيا ! من

أنعم أهل الدنيا ؟ ليس المقصود في عصرنا هذا الذي نعيش فيه إنما من عصر ادم عليه السلام إلى هذا الوقت !
 "فيغمس في النار غمسة واحدة ثم يقال يا ابن آدم هل مر بك نعيم قط هل مر بك من نعمة قط فيقول: لا والله يا
 ربي ما مر بي من خير وما مر بي من نعيم ثم يوتى بأبأس أهل الدنيا من أهل الجنة فيغمس في الجنة غمسة
 واحدة ، فيقال: هل مر بك من شدة قط هل مر بك من بؤس قط فيقول: لا والله يا ربي ما مر بي من شدة أو
 بؤس قط !".

ومن أجل ذلك أيتها الأخوات فالمسلمون يعيشون لآخرتهم ، يعملون في دنياهم ، وأعينهم تتجاوز إلى الآخرة وما
 فيها من رضا الله والجنة وما فيها من القرب من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه.
 أيضاً من الآثار نظرة الإسلام للإنسان ، فالإنسان في الإسلام من حيث هو مكرم كما قال الله عز وجل: (ولقد
 كرمنا بني آدم) ثم هذا الإنسان يتفاضل عند الله بحسب انجازاته وبحسب عمله بحسب مكتسباته ، لا يمكن أن
 تحكم على شخص انه خير الناس ويمكن أن يكون شر الناس بحسب منجزاته هو وعمله ولذلك قال الله عز
 وجل: (يا أيها إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم) .

فمثلا الناس طبقات أعلى طبقه البراهمة ، وأحط طبقه الشودر ، فالبرهمي يصبح معزز مكرم حتى لو كان لا يقدم
 أي خدمة ولا يحقق أي انجاز يبقى برهمي ، والشودر لو طلب من الناس الأمور التي تنقله إلى البرهمي فلا تزال
 تظل نظرة الناس له أنه عبد طوال حياته حتى لو كان ذكياً مخترعاً نافعا لأمتة يبقى شودر، ليس في الإسلام
 هذا.

ولذلك حتى الديمقراطية التي تتغنى بها أمريكا وحقوق الإنسان التي تذكرها، يظل لديهم التمييز العنصري بشكل
 فاضح في أمريكا وبلاد أوروبا ، لذلك لما حصل إعصار كاترينا تأخرت الحكومة الأمريكية في دعم هذه المناطق
 المتضررة لماذا؟ لان الإعصار كان في مناطق السود !.قد يتساءل أحد أين حقوق الإنسان في أمريكا؟ نقول أن
 الإنسان عند الأمريكان هو ذو العيون الزرقاء والشعر الأشقر أما السود فلا يعدون إنسان ، لذلك لما يحاول احد
 منهم أن يبدي رأيه ويتكلم يعقل ويعذب دون أي محاكمة أو اعتبار!
 فأين حقوق الإنسان ؟ طبعا هذا عندهم ليس إنسان وان كانوا لا يقولونه بألسنتهم ولكن الواقع يحكيه.

أما عندنا نحن المسلمين فيا عجباً! من هو حب رسول الله وابن حبه هو أسامه بن زيد ، أسامه بن زيد كان محبوب عند الرسول عليه الصلاة والسلام ولذلك لما سرقت المرأة المخزومية في عهد الرسول ، قالوا: من يكلم الرسول فما استطاع احد أن يكلم رسول الله لأنه توقع الصحابة أن تقطع يدها ، فقالوا: لن يجرؤ أحد أن يكلم رسول الله إلا أسامه بن زيد ، فجاء أسامه بن زيد وكلم رسول الله في شأن المرأة المخزومية ، فغضب رسول الله وقال: " أتشفع في حد من حدود الله وأيما الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " .

فأسامة بن زيد ولاء رسول الله قيادة جيش فيه أبو بكر وعمر ، هذا الشاب المقرب لرسول الله عندما نسمع ذكره يتبادر إلى الذهن أن أسامه شاب وسيم أبيض ونسب شريف ذو حسب ونسب ، ولكن عندما نعرف أن أسامه بن زيد أسود شديد السواد وهو ابن أمة وأبوه مولى ، ولونه الداكن لم يمنعه أن يكون حب رسول الله هذا هو الإسلام " من أبطأ به أجله لم يسرع به نسبه".

فهذا سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي أقرب إلى رسول الله من أبو لهب الهاشمي ومن أبي جهل القرشي ، إن هؤلاء الفقراء الضعفاء كانوا أول الناس إسلاما وإيمانا برسول الله وأقرب الناس إلى الرسول وان كثير من السادة والزعماء قتلوا على يد الرسول وأصحابه في بدر منهم صناديد قريش قتلوا ورموا في قليب ، وان كانوا في مقاييس الدنيا أشرف ورؤساء في قومهم ولكن هذا الدين يترك المجال للجميع أن يتسابقوا ويتفاضلوا ويقول الله: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، قد يكون الإنسان ليس عنده من المؤهلات الدنيوية شيء ولكنه يبلغ في الآخرة مبالغ عظيمة ، لذلك يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام لبلال: " ماذا تصنع يا بلال فلقد كنت اسمع خشخشتك بين يدي في الجنة" ، بلال الحبشي من الحبشة من أثيوبيا لم يمنعه نسبه ولا حسبه من أن يصل إلى هذه المنزلة العظيمة في دين الإسلام.

وكذلك أيتها الأخوات هذا المفهوم يجعل الإنسان ينظر إلى هذا الكون وان هذا الكون مسخر من قبل الله للعبد المؤمن ليست الطبيعة العاتية المتمردة ولكنها مخلوق مسخر لله سبحانه وتعالى ، سخرها الله لعباده يقول الله عز وجل: (هو الذي سخر لكم ما في الأرض جميعا) ولذلك لما تأتي الرياح الشديدة نقول: (اللهم اجعلها رياح ورحمه ولا تجعلها ریح وعذاب اللهم إنا نسألك من خيرها وخير ما أرسلت به) .

نحن ندرك أن المتصرف فيها هو الله سبحانه وتعالى ، لذلك ندعوه ونسأله أما الكافرين يتعاملون مع الطبيعة القاسية على أنها عدو شرس قادم إليهم .

خلاصة هذا الدرس الذي أرجو أن تستوعبوه جيداً وهو...
لنخشى على أنفسنا أن نكون ممن (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) ، فقد تجد الطالبة
الذكية الفطنة ذات التقديرات العالية المتميزة ، ولكنها لا تتقي الله عز وجل في لباسها ولا في نظرها ولا في سمعها
، ولا تتقي الله في كثير من أعمالها !
ماذا ينفعها ذكاؤها وتفوقها العلمي إذا كانت غافلة عن الآخرة !

الإسلام وبناء المجتمع

تعريف المجتمع:

التعريف اللغوي للمجتمع:

المجتمع مشتق من جمع ، والجمع هو ضم الأشياء المتفرقة ، وضد الجمع التفريق -يعني تفريق الأشياء المجتمعة-، ولما عرف ابن منظور-صاحب لسان العرب- لفظ المجتمع قال : " تجمع القوم اجتمعوا من هاهنا و هاهنا " ، وكأنه يشير إلى أنه تجمع بعد تقرب .

التعريف الاصطلاحي للمجتمع:

يتكون من ثلاث جمل ، وكل جملة تشير إلى بعض الأسس التي يقوم عليها بناء المجتمع ، فالمجتمع في التعريف الاصطلاحي هو :

١. عدد كبير من الأفراد المستقرين ، ويدخل في هذه الجملة الإنسان وهو "العدد الكبير" ، وتدخل الأرض تحت "مستقرين" ، أي أن هناك أناس كثير وهو مستقرون على أرض .

٢. تجمعهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة ، أي أن هؤلاء الناس الذين اجتمعوا الجامع بينهم أمرين :

١. الروابط الاجتماعية وهي أنواع كما سيأتي الحديث عنها .

٢. المصالح المشتركة ، لأن من طبيعة الناس أنهم يلتقون على مصالحهم التي يتبادلونها ، فلذلك

الروابط الاجتماعية والمصالح مشتركة هي من ضمن أسس بناء المجتمع .

٣. تصحبها أنظمة تضبط السلوك وسلطة ترعاها ، فحينما يجتمع الناس ويلتقون على أرض واحدة وتربط بينهم روابط

اجتماعية ومصالح مشتركة لابد لهؤلاء الناس المجتمعين من نظام ، لابد من قانون ، لابد من تشريع يحكمهم ويرتب

علاقاتهم ، ثم هذا النظام والتشريع لابد له من سلطة ترعاه وتنفذه و تقوم عليه .

وهذا التعريف كما تلاحظون هو تعريف عام ، ليس المقصود به المجتمع الإسلامي ، وإنما هو المجتمع الإنساني بشكل

عام ، ولذلك حينما نعرف المجتمع الإسلامي فإنه يشبه التعريف السابق ، لأنه يشترك مع المجتمع الإنساني في بعض

الأسس والعوامل ، ولذلك يمكن أن نقول أن المجتمع الإسلامي-التعريف الاصطلاحي- هو خلائق مسلمون في أرضهم

مستقرون تجمعهم رابطة الإسلام وتدار أمورهم بالشريعة الإسلامية ويرعى شئونهم ولاية أمر منهم وحكام .

نلاحظ أنه لم يختلف التعريف في أشياء كثيرة ، إلا أن هذه الأمور وإن كانت يسيرة في اللفظ والعبارة إلا أنها جوهرية في تشكل المجتمع الإسلامي ، فالمجتمع الإسلامي يتكون من المسلمين في الأرض الإسلامية ، تربط بينهم رابطة الإسلام وتحكمهم الشريعة الإسلامية ، ويرعى شؤونهم ولاة الأمر الذي يديرون هذا المجتمع المسلم .

ولإيضاح التعريف السابق نشير إلى بعض المصطلحات المشابهة لهذا المصطلح-المجتمع الإسلامي:-

١. **مصطلح الجماعة** : هي الطائفة من الناس يجمعها رابط فأكثر ، فقد يربط بينهم القرابة ، أو الجنس أو الجوار ، الوظيفة كأن يكونون زملاء عمل في دائرة أو مؤسسة معينة ، قد يربط بينهم التعليم مثلاً في مؤسسة تعليمية واحدة كالجامعة ونحوها وغيرها .

ولا نعني بالجماعة المجتمع ، ولكن المجتمع هو مجموع هذه الجماعات والطوائف من الناس ، فالجماعة عنصر من عناصر تكوين المجتمع.

٢. **مصطلح الأمة** : وهو موجود في القرآن لذلك أصبح مصطلح قرآني ، استخدمه القرآن للدلالة على فهم خاص ومعنى معين ، إذا تأملنا فيه وجدنا أن دلالة النصوص الشرعية تشير إلى أن معنى الأمة : هي جماعات من الناس تجمعهم عقيدة الإسلام بغض النظر عن أي اعتبار ، لذلك قال تعالى : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) ، وقال سبحانه : (**وإن هذه أمتكم أمة واحدة وإن ربكم فاتقون**) .

ولذلك يطلق على أهل الإسلام مهما تفرقت بهم الديار والأمصار ، واختلقت اللغات والألوان والأجناس يقال لهم الأمة الإسلامية ، التي ينتسب لها كل مسلم ، فهي أمة لإسلامية واحدة على اختلاف الجنس واللون وغيره ، بخلاف الأمم الأخرى التي وإن اشتركت في بعض المعاني فإنها تبقى أمم مختلفة ، ولذلك يعبر عن الدول الأوروبية بالأمم الأوروبية ولا يقال أمة أوروبية ، كذلك الدول الأفريقية المختلفة في لغاتها وأجناسها يقال لها أمم أفريقية ، أما الأمة الإسلامية فهذا المصطلح يجمع كل المجتمعات الإسلامية مهما اختلفت في جوانبها الأخرى ما دامت تلتقي على الإسلام.

أسس بناء المجتمع

كل مجتمع لابد له من أسس يقوم عليها ، فهذا الأسس تحتاجها كل المجتمعات الإنسانية للقيام ، إلا أن المجتمع الإسلامي تميز عن غيره من المجتمعات - وإن كان يقوم على نفس الأسس- فإنه تميز بما أوجده من مواصفات لهذه الأسس ، ولذلك اعتنى الإسلام بالأسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم عناية فائقة ، مما جعل ذلك يميز المجتمع الإسلامي بأسس و يجعلها بـمميزات خاصة، فكان تميزه لتمييز أسسه ، فهذه الأسس تلتقي عليها المجتمعات الإنسانية ولكن مواصفات هذا الأساس تختلف من مجتمع لآخر فمثلاً الإنسان من أسس بناء المجتمع فهذا الأساس موجود في كل المجتمعات ولكن مواصفات هذا الإنسان- هذا الأساس -تختلف من مجتمع لآخر ، فتختلف مواصفات الإنسان المسلم عن الإنسان النصراني عن الإنسان الوثني.

الأساس الأول : الإنسان:

لقد عني الإسلام بهذا الأساس عناية كبيرة ، ويظهر ذلك من خلال عدة معالم:
معالم تكريم الإسلام للإنسان:

١. تشريف الإنسان من أصل نشأته وخلقته ، فأصله آدم أبو البشر الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته ، فهذا تكريم لأصل الخلق وبداية النشأة ، فالملائكة الذين هم عباد الله المكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ومع ذلك فإنهم أمروا بالسجود لآدم الذي هو أصل بني الإنسان.
٢. كرم الله الإنسان بجنسه- هذا تكريم لعموم جنس الإنسان- ، فجنس الإنسان مكرم ، قال تعالى : (ولقد كرمنا بني آدم) ، فمجرد كونك من بني آدم فقد حصل لك التكريم من الله .
٣. أن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان بتكليفه بمهمة عظيمة ، وهي الخلافة في الأرض ، فقال تعالى : (إني جاعل في الأرض خليفة) ، فكان الإنسان هو الخليفة في الأرض ، المأمور بإدارة هذه الأرض بما فيها من مخلوقات وأحياء وجمادات، وهذا غاية التشريف والتكريم لهذا الإنسان.
٤. أن الله لما كلف الإنسان بهذه الوظيفة الشريفة أعطاه من الخصائص و المؤهلات والمهارات والقدرات ومن العقل والحلم والحواس وغيرها ، أعطاه ما يستطيع به تحقيق هذه الوظيفة ، فهيأه بمهارات عالية ومواصفات فائقة ليكون أعلم وحقيقاً للقيام بهذه الوظيفة التي كلفه بها .
٥. أن الله سخر له ما في الأرض جميعاً ، فكل ما في الأرض مسخر للإنسان ليعينه على القيام بوظيفة الخلافة في الأرض ، فقال سبحانه : (هو الذي سخر لكم ما في الأرض جميعاً) ، ولذلك أخذ العلماء من هذه الآية على أن الأصل في الأشياء الإباحة ، -لماذا؟- لأن العلماء يقولون في هذه الآية أنها وردت في مقام الامتنان -فهو يمتن

علينا سبحانه بأنه سخر لنا ما في الأرض جميعاً ، ولو كان محرماً علينا لم يكن فيها منة علينا - فكيف يمتن علينا بشيء قد منعنا منه - ، ولكونها وردت في سياق الامتتان ، وهذا من قوله : (هو الذي سخر لكم) ولو كنا ممنوعين منها لم تكن مسخرة لنا ، فكل ما في الأرض مسخر للإنسان ويستخدم كل ما في الأرض لتحقيق الخلافة التي أنيطت به .

٦ . أن الله لما كلف الإنسان بهذه المهمة لم يتركه هملأً ، وإنما أمره أن يدير هذا الكون في ضوء الشريعة التي أمره الله بها ، فيحكم بالإسلام ، فالله لم يتركه سدى بل أمره أن يقوم على هذه الأرض بالشريعة التي يرضاها الله وهي الإسلام ، و مصطلح الإسلام له معنيان :

١ . المعنى العام : يراد به التوحيد والإيمان بالله سبحانه ، وعلى هذا فكل الرسل السابقين دعوا إلى الإسلام ، كما قال الله عن إبراهيم أنه كان حنيفاً مسلماً ، وقال عن يعقوب في وصيته لأبنائه : (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمين) .

٢ . المعنى الثاني : هو الإسلام بمعنى التشريع الإسلامي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .

وهذه المعالم تشير إلى تكريم الله لهذا الإنسان وتشريفه ، لما كان من حكمة الله أن تكون هذه المجتمعات فقد هياً الله الإنسان ، وأودع فيه الغرائز التي تدفعه إلى تحقيق هذه الإرادة التي أرادها الله من نشأة المجتمعات ، ونلاحظ أن الله أودع في الإنسان غريزتين أو نزعتين متباينتين في الظاهر ولكنهما في الحقيقة متكاملتين وهذه الحقيقة من لطيف إعجاز الله .

النزعة الأولى: الفردية:

حيث جبله الله على أن يحب الخير لنفسه ويدفع الشر عنها ، ويحرص على تحقيق ذاته ، هذه الغريزة مستكنة في النفس البشرية ، حتى الصغير في صغره وهو لا يعرف معنى كثير من الأشياء تجده أحياناً يأخذ اللعبة ويحتضنها ويقول هذه لي ليست لأحد ، هذه غريزة مجبول عليها الإنسان .

النزعة الثانية: الاجتماعية:

النزعة الاجتماعية وهي تدفع بالفرد إلى صف الجماعة وإلى حضان المجتمع ، لأن الله بحكمته جعل في الفرد حاجة في الفرد الآخر كحاجة العضو للعضو في الجسد الواحد ، أوجد غريزة داخلية حب الاجتماع ، ولذلك تجد الإنسان يألف من الإحسان ، ويبتعد من الوحدة و يستوحش منها ، ويألف المجتمع ويركن إليه بل إن كثير من السلوكيات الموجودة في

النفس البشرية هي مبنية على الجانب الاجتماعي ، فمثلا الحب ، فإذا كان الإنسان معتزلاً لوحده لم يكن هناك معنى للحب ، لا بد أن يكون هناك أناس يحبهم ويحبونه حتى يتحقق هذا السلوك ، أيضاً الوفاء لابد أن يكون هناك أناس تعاهدهم وتعقد معهم المواعيد ، حتى يفي بهذه العهود ويلتزم بهذه المواثيق ، أما لو كان المرء وحده معتزلاً الناس ، فكيف يتعامل؟! لا يوجد أي معنى للوفاء يحتاجه.

وكذلك التمييز، لما نأتي لطالبة ونقول أنها متميزة لأن درجتها ٩٩ ، ثم نجد طالبة أخرى أكثر تميزاً درجتها ٩٩،٦ ونجد أخرى أخذت ٩٩،٨ ، فتميزت الأولى عن قريناتها ، لو كانت طالبة واحدة في الفصل وهي الأولى؟! فكيف يكون التمييز! ، فالتمييز نزعة فردية وكذلك حب المدح ، لا يمكن أن يتحقق للإنسان إلا بأطراف أخرى إلا بمجتمع يمدح هذا الإنسان ويثني عليه.

فالثناء-حب المدح- غريزة فردية ، فالإنسان أحب ما عليه أن يمدح ، لو كان وحده معتزلاً فمن يثني عليه؟ من يمدحه؟ ، فلا بد من جو جماعي يحقق هذه المواصفات ، وحين نتأمل في هذا الدين العظيم الذي جاء مواكباً للفطرة نجد انه عني هاتين الغريزتين وتلبية هذه الحاجة الفطرية في النفس البشرية ، حتى أنه يظهر في الجانب الاقتصادي هذا المعنى، فالشيوعية -الاشتراكية- تلغي الملكية الفردية ، فالفرد ليس له ملكية خاصة ، فالبيت للحكومة والمال للحكومة ، وهو موظف يعمل للحكومة التي تعطيه المواد الغذائية وقليلاً من المال ، دون أن يكون له ملكية ، فلا يوجد أناس لهم مزارع ولا بيوت ولا قصور ، فهذه البلاد الاشتراكية يبنون مباني متشابهة نفس بعضها زعماً في التسوية بين المجتمع ، ثم يضعون هذه العمارات فئات حسب عدد أفراد الأسرة دون يمتلك الإنسان أي شيء من الأرض ، يقابلها الرأسمالية التي تغلو في الملكية الفردية وتهمل وتهتمش الملكية الجماعية ، أما النظام الاقتصادي في الإسلام يلبي احتياجات الفرد ويؤسس للجماعة ، ويراعي الجانب الجماعي في الجانب المالي والاقتصادي ، فمثلاً نجد أن القرآن يقرر في قوله تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، فكل إنسان مرتين بعمله ولا يتحمل تبعات أعمال الآخرين ، لذلك يقول الله عز وجل: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) ، بل يخبر سبحانه بقوله (كل نفس بما كسبت وهينة) ، فكل مرتين بعمله والمسئولية في الآخرة هي مسئولية فردية فكل واحد يسأل بشخصه-بصفته الشخصية الذاتية- ، لذلك يقول الله عن حال الناس في الآخرة: (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) ، فهو يفر من أقرب الناس إليه وأحبهم إلى قلبه ، يفر من والديه وأبنائه ، مشغول بنفسه عنهم من شدة ذلك اليوم نسأل الله أن يرحمنا فيه.

على الجانب الآخر نجد هناك تكاليف جماعية جاءت في التشريع الإسلامي ، وأحكام متعلقة بالجانب الجماعي للإنسان وهي أيضاً تربي غريزة مركوزة في الفطرة ، فتجد مثلاً الأمر ببر الوالدين و الأمر بصلة الأرحام والإحسان للناس ، " لا

يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ، وهكذا جاءت النصوص الشرعية والأحكام في تحقيق هذا المعنى لما فيه من تلبية للفطرة التي خلق الله الناس عليها .

ما ذكرناه سابقاً هي دوافع فطرية وغرائز في النفس ، ولكن الإسلام لم يكتف بهذه الدوافع الفطرية في النفس البشرية وإنما استكملها بتشريعات وتكاليف خوطب بها الفرد والمجتمع ، ولذلك نقول هذا هو الأساس الأول للإنسان الذي عني به الإسلام ، ووضع له المكانة العليا التي تليق به في المجتمع الإسلامي باعتباره هو اللبنة الأولى في الأسرة التي من مجموعها-مجموع هذه الأسر -المجتمع الإسلامي .

الأساس الثاني: الروابط الاجتماعية:

لما الله أراد أن تقوم هذه المجتمعات ، كان في غريزة الإنسان حب الاجتماع ، فالاجتماع هو في الحقيقة تلبية لغريزة مستكنة في النفس البشرية ، فالعزلة والانعزال عن الناس صعب ثقيل على النفس ، يستوحش منها الإنسان لأنه اجتماعي بطبعه ، فإذا اجتمع الإنسان تكونت روابط اجتماعية تربطه بذلك الإنسان الذي التقى به في أرض معينة ، وهذه الروابط الاجتماعية في المجتمعات الإنسانية لها صور كثيرة منها الصداقة ، القرابة ، المصاهرة .

هذا في جانب الروابط الاجتماعية أما الجانب الآخر فهو المصالح المشتركة ، حيث أن الإنسان عاجز عن القيام بمصالحه وشئونه فهو يحتاج إلى من يعينه عليها ، فالمجتمع يجتمعون للقيام بمصالحهم جميعاً ويقومون بمهام تخدم الجميع ، ولو كان واحداً بمفرده لعجز عن القيام بها ، ولذلك يقول ابن خلدون -وهو من علماء الاجتماع المسلمين المتقدمين وله كتابه "مقدمة ابن خلدون" - يقول : " إن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته ، فلا بد من اجتماع القدر الكبير من أبناء جنسه " ، مثل الماء وهو ليس حاجة من الحاجات بل ضرورة من ضروريات الحياة ، أحياناً في بعض المجتمعات قد يعجز الواحد بمفرده عن تحصيل الماء ، لأنه يحتاج لجهد وإمكانات لا يستطيع هو تحصيلها ، فيحتاج أن يتعاون مع غيره لجلب الماء وتحصيله ، فهو ضرورة حياتية ليس مجرد حاجة أو مصلحة تتحقق ، فهناك أشياء كثيرة في المجتمع لا يستطيع أن يقوم بها الفرد وحده وإنما لابد أن يرفقه غيره للقيام بها ، كما أن غيره يسعى للاستفادة منها ، فتكون الفائدة للطرفين .

هذا المعنى يؤدي إلى الترابط والتعاون في المجتمع لتحقيق المصالح المشتركة التي لا يستطيع بعض الناس القيام بها ، فإذا كان هناك مجتمع وبينه روابط اجتماعية ومصالح مشتركة فالسؤال الذي يأتي هنا ما الفرق بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الإنساني في هذه الحالة ؟

فالروابط موجودة، القرابة موجودة، والجوار موجود، التواصل بين الناس موجود، المصالح المشتركة موجودة سواء كان ذلك المجتمع مسلم أو كافر، فما هو الشيء الذي يميز المجتمع الإنساني عن غيره في هذا السياق ؟ ، قبل الإجابة على هذا السؤال نود أن نشير إلى مسألة مهمة وهو أن المجتمع الإسلامي لم يرفض هذه الروابط ولم يلغيها ، وإنما اعتنى بها واحترمها وأكدها ، فهو يأمر ببر الوالدين ، يأمر بصلة الأرحام والإحسان للجار "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره " ، ويأمر بإكرام الضيف " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه " ، وهذه الروابط الموجودة في المجتمع الإسلامي عني بها الإسلام ، وكذلك المصالح المشتركة أكدها الإسلام لذلك يأتي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار " ، فالكلأ مباح للجميع كل يرضى غنمه فيه والماء كلنا نشرب منه ، والنار لا يجوز منعها ممن يريد أن يوقد منها ، فالمسألة التي تشير إليها هي أن هذه الروابط لم يرفضها الإسلام ولم يمنع منها بل قواها ومكنها وشرع تشريعات لتنفيذها ، لكن الجانب الآخر المهم أن الرابطة العظمى والعروة الوثقى في الإسلام هي العقيدة ، وعليه مدار الروابط كلها فإذا صحت هذه الرابطة الرئيسية صحت الروابط الأخرى وكان لها الرعاية والاهتمام.

المتأمل في هذا المعنى وفي تطبيقات الجيل الأول لهذا يرى عجا ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قاتل ببلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي ، هؤلاء الأعاجم قاتل بهم أهله وعشيرته وعمومته من بني هاشم ، فما الذي فرق بينهم ؟ ما الذي قرب العجم من الرسول وأبعد بني هاشم عنه ؟ إنه الدين والعقيدة والإسلام ، ومع أن الرسول عليه السلام بعث في قومه-وهو مجتمع قبلي يعتز بالعقيدة والرباط القبلي ويجعلها فوق كل الروابط- ،ذلك المجتمع يحترم النسب والحسب ويعتز بهما ، لذلك لما دعا الرسول عليه السلام إلى الإسلام-أول ما دعا- بادر للإيمان به الضعفاء والعبيد والفقراء ، ولما جاء يدعو سادة قريش وصناديدها إلى الإسلام قالوا له : تريد أن نجلس إليك وفي مجلسك الضعفاء والعبيد والفقراء!! ، إن من معالم هذا المجتمع الجاهلي أنهم يستكفون ويستكبرون من الجلوس في المجالس التي يجلس فيها الضعفاء والفقراء ، واشترطوا على النبي -حتى يسمعون منه ويجلسون إليه- أن يبعد هؤلاء الفقراء والضعفاء ، وقالوا يا محمد إن أردت أن نسمع إليك ونجلس في مجلسك ، فأبعد عنا هؤلاء الفقراء والعبيد والضعفاء ، لا يجلسون معنا ، فماذا كان رد الرسول عليه السلام عليهم ؟ ماذا كان رده على هذا العرض المغربي في مجتمع قبلي؟

فإذا أسلم سيد القبيلة أو العشيرة قد تسلم كل القبيلة ، والرسول في مرحلة استضعاف ويحتاج لهؤلاء ومناصرتهم وإعانتهم في الدعوة ، وأصحابه يلقون الأذى والعذاب ، ولو أسلم هؤلاء الزعماء لارتفع الأذى والعذاب عن المسلمين المستضعفين ، مع أن العرض كان مغري والفرصة كبيرة في المنظور البشري المحدود ، لو أسلم أحد هؤلاء الزعماء لكان للإسلام شأن في مكة ، ففكر الرسول في الموضوع - مجرد تفكير - فجاء القرآن بنصوص قوية واضحة مجلجلة تبين طبيعة هذا الدين وأسلوبه في التعامل مع النفوس ، جاء القرآن معاتباً للرسول صلى الله عليه وسلم على التوقف والتفكير - مجرد التفكير - فلم يخطو الرسول خطوة عملية ولم يتجه حتى لرأيه لتنفيذ هذا المقترح ، ولكنه كان محل تفكير وتأمل منه نظراً للظروف المحيطة به ، جاء القرآن مجلجلاً بعبارة واضحة لبيان التصور الإسلامي في هذه القضية فيقول تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) ، فيماذا نرد على هؤلاء المشركين ؟ قال تعالى : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعاتها) ، قل لهم يا محمد أن هذا هو الحق ، فإن شئتم أخذتم به وهذا خير لكم ، وإن شئتم أن ترفضوه وتتركوه فاعلموا ماذا أعد الله لمن أعرض عنه (إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعاتها) .

ما أجمل هذا الوضوح وهذه العبارات واللائل التي نزلت على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بردا وسلاما ، إن هذا الدين من طبيعته أن لا يدخله الإنسان وهو متغطرس متكبر بل مستكين لله عز وجل لا يكون متغطرس ولا مستكبر ، قبل أن تدخل هذا الدين لابد أن تعرف طبيعة هذا الدين وحجمك أنت ! فمع من تتعامل؟ فإنك لا تتعامل مع سيد من السادة ولا تاجر من التجار ولا رئيس من الرؤساء ولا ملك من الملوك ، ولكنك تتعامل مع الله جل جلاله ، إذا أردت أن تدخل هذا الدين تدخل عبد ذليل خاضع مستكين خاشع لله سبحانه وتعالى ، ولذلك نجد في القرآن نصوص كثيرة تؤكد على هذه القضية وأن الرابطة الوثقى هي الدين هي العقيدة هي الإسلام ، قال تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) ، أقرب الناس إليك لا تجوز مودتهم إن كانوا ممن حاد الله ورسوله ، كيف يليق بك أيها المسلم الموحد أن تحب وترحب وتستضيف وتقدر من يبغض الله ! من يكره الله! من توعد الله بنار أحاط بهم سرادقها ؟

إن المفاضلة الأولى هي في العقيدة ، وحينما يكون العبد مؤمن فإن العبد الأسود يكون أقرب لك من الأبيض لأنه مؤمن ، وكذلك الجيل الأول الذي تربى على يد النبي عليه السلام أخذ بهذه بكل وضوح ، فكانوا يعادون أقرب الناس إليهم ويوالون أبعد الناس عنهم في ذات الله عز وجل ، يقوا تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا

وهبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم مبيناً طبيعة العلاقة و قوة الرابطة بين المسلمين : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " ، وقد فهم الجيل الأول هذا المعنى وتشرب هذا الفكر والتصور ، ولذلك لما مر مصعب بن عمير في بدر على أخيه وقد أسره أحد الأنصار وكان مشركاً ، فقال مصعب للأنصاري : اشدد وثاقه فإن أمه ذات مال ، فقال له أخوه المشرك : يا أخي هذه وصاتك بي ، فقال له مصعب : هو أخي من دونك ، تأملي هذه الكلمة العظيمة! ، فالأخوة في الإسلام أعظم من أخوة النسب ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام : " من بطئ به عمله لم يسرع به نسبه " ، فأخوة الدين فوق كل أخوة ، فإن الله أمر بالإحسان للوالدين وإن كانا مشركين ، وأمر بالإحسان للأقارب وإن كانوا على الشرك -لاحظي أن الإحسان غير عن المودة- وأمر بالإحسان للجار وإن كان مشركاً ، لذلك قال : (الجار الجنب) ، والجار الجنب غير عن المشرك هو المشرك لأن الأجنبي في المصطلح الإسلامي ليس هو الجنسية التي تحملها هو الكافر ، فمن كان مسلم فهو ليس أجنبي ، قد يكون مواطن مسلم ليس من البلد ولكنه يقيم بها فهو ليس أجنبي في المصطلح الإسلامي.

الأساس الثالث: الضبط الاجتماعي:

إذا اجتمع الأفراد في أرض واحدة وصار بينهم علاقات وتواصل فإنهم يحتاجون إلى ضبط العلاقات فيما بينهم لأن النزعة الفردية والأنانية إذا لم تضبط ويكبح جماحها فإنها قد تضر بالمجتمع لذلك يوجد تأثير للجانب الاجتماعي على الفرد بمعنى أن الإنسان قد يترك ما يريد مراعاة للمجتمع من حوله وهذا المعنى يسمى الضبط الاجتماعي.

أصل الضبط الاجتماعي : ما يشعر به الفرد تجاه الجماعة حين يمتنع عن بعض ما يحبه و يريده مراعاة لشعور المجتمع المحيط به كأن هذا يعني وجود شخصية جماعية تفرض نفسها على الأفراد وتؤثر على سلوكياتهم وتصرفاتهم لذلك تجد بعض الأفراد قد يتصرف بتصرفات عندما يكون وحده أو في مجتمع صغير قد لا يراعيه أو لا يلتفت إليه عن أن يقوم بمثل هذه التصرفات في مجتمع كبير .

فالضبط الاجتماعي هو ضرورة الوعي بشعور الآخرين ومراعاة حقوقهم وانتهاج سلوك يتأثر بهذا الوعي مما يفرز سلوك وخلق وهذا الخلق والسلوك هو المقصود بالضبط الاجتماعي.

*فالمجتمع بحاجة ماسة لوجود ضوابط وأنظمة ومقاييس تحدث التوازن بين نشاط الفرد وحرية والمحافظة على حقوق الجماعة وشعورهم.

* هناك غريزتان أو نزعتان في النفس البشرية وحتى يكون بينهما تكامل لابد أن يكون هناك ضبط لكل غريزة وجعلها بمسارها الصحيح فلا تقيد حرية الأفراد بشكل مجحف ولا تطلق بشكل يضر بالمجتمع من حولهم ، لذلك لا بد من وجود أنظمة تمنح للفرد فرصة للانطلاق والاستجابة لنزعاته الفردية وتطوير ذاته ، لا بد من إعطائه فرصة للانطلاق فهي غريزة فطرية مغروزة في خلقته فلا يصح أن يكبت أو يمنع الفرد من حقه كما يحصل من بعض الآباء والأمهات الذين يكتبون نشاطات أبناءهم وبناتهم ولا يعطوهم الفرصة للانطلاق مع أنه أصلاً جانب فطري كأن لا يسمح له بالحديث أثناء وجود الأب مع أن طبيعة الفرد منذ صغره أنه يريد أن يتحدث يريد أن يثبت ذاته و وجوده فإذا تكلم عاتبه الأب ووبخه ، فينشأ الطفل ويشب ولديه عقده أنه لا يستطيع أن يتكلم و يتحدث كالآخرين ، بل ينظر لهم وهو يغطهم على انطلاقهم بالحديث و مشاركتهم أترابهم في المناشط ، لأن مهاراته لم تنمى ولم يعنى بها بل أصابها الحصار والكبت والمنع من التعبير .

فجاءت هذه الضوابط لتعطي للفرد فرصة للانطلاق والتعبير عن ذاته والاستجابة لغريزته ، ولكن لابد أن يضبط هذا الانطلاق بضوابط تحبس نشاط هؤلاء الأفراد في مجالات أخرى وتضع لهم مقاييس للسلوك والممارسات التي يقومون بها ، فبعض السلوك والممارسات جيد مقبول يثنى عليه ، وبعضها مرفوض غير مقبول يلام عليها فاعلمها فحرية الفرد ليست مطلقة بل تنتهي حين تبدأ مصالح الآخرين .

*المتخصصون بشئون المجتمع اهتموا بهذا الجانب -الضبط الاجتماعي- ولكنهم مع اهتمامهم وعنايتهم يقفون عند قدراتهم البشرية والتي مهما بلغت فهي قدرات ضعيفة ومحدودة ومن أشهر ما توصلوا إليه في جانب الضبط الاجتماعي ما يسمى بنظرية العقد الاجتماعي .

تعريف نظرية العقد الاجتماعي:

هي فكرة مادية تقوم في حقيقتها على تبادل المصالح والتعايش بين الناس لينال كل منهم حقوقه ويؤدي واجباته ، و تسعى إلى إحياء روح المجاملة في المجتمع وكف الأذى والعدوان ، وهذا المعنى جيد ويحتاجه البشر، ولكنه لا يكفي لبناء مجتمع قوي متماسك و تحقيق الضبط الاجتماعي ، فهي فكرة تقوم على أن المجتمع يتفق فيما بينهم على ضوابط تحفظ حقوق الأفراد ، وتعطيهم فرصة للتعايش الذي يتبادلون فيه حقوقهم ومصالحهم ، و فيه ضبط لكف الأذى عن بعضهم البعض .

وهذا القدر من الضبط الاجتماعي جيد لأمن المجتمعات والحفاظ على العلاقة بين الأفراد في المجتمع ولكن الأمر أكبر من هذا ، ولكن الإمكانيات البشرية تقف عند هذا الحد وهذا الذي يجعل الفرق كبير وهائل بين النظريات البشرية والتشريع الإسلامي في مسألة الضبط الاجتماعي .

*كيف ينظر الإسلام للضبط الاجتماعي ؟

لقد أمر الله عز وجل بأوامر في أصل تربية الإنسان وهي تنمية داخلية ليس مجرد التزام ظاهري بل هو زراعة محبة أفراد المجتمع في القلب و هذا يؤدي لجلب الخير والنفع وكف الأذى والضرر لذلك يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتوه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم " . من مقتضيات الإيمان المحبة بين المسلمين وتحقيق هذا السلوك يؤدي لدخول الجنة بل عدم تحقيقه يمنع من دخول الجنة فالإسلام يريد أن يزرع بالمسلم محبة أفراد المجتمع فإذا أحبهم بقلبه فلا شك أن جوارحه ستتحرك بمقتضى هذه المحبة ، فتجد أنه يحسن للآخرين ويبذل لهم الخير ويفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ويتفاعل معهم فكانت هذه المحبة المتبادلة بين المسلمين علامة على تحقق الإيمان وفي الحديث يقول - صلى الله عليه وسلم - : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار . " ودخول الجنة من أعظم الحوافز التي يحرص عليها المسلم .

وهذه المحبة محلها القلب فهي ليست شيء مادي ظاهري ولكن آثار هذا الأمر المعنوي القلبي كبيرة واضحة وقوية جدا وترى هذا واضحا بالمجتمعات المحبة.

والمحبة تتجاوز مرحلة كف الأذى إلى بذل المعروف لأن المجتمع يحتاج إلى عدد من الجوانب الرئيسية ومنها كف الأذى وهي أقل درجة لذلك يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره " . لذلك فإن كف الأذى هي القاعدة الأصلية التي ينطلق منها الإنسان فنحن نطالب أولا بكف الأذى ثم بعد ذلك بذل المعروف فعندما تسود المحبة في المجتمع تجد التعاطف والتراحم والتكافل والبذل وغيرها من المعاني الجميلة وكلها نتيجة الحب المتبادل بالقلوب يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " . هذه علامة الإيمان والإيمان لا يتحقق حتى تحب لأخيك مثل ما تحب لنفسك .

بل إنه مع الحب في الله قد يتجاوز الإنسان هذه المرحلة -مرحلة أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك- إلى مرحلة أعلى منها وهي مرحلة الإيثار، فالمحبة درجات أعلاها الإيثار كما أخبر الله عز وجل في وصفه للمؤمنين في الجيل الأول: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة).

ثم الأقل منها أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك لأن بها مواساة فيها تساوي بينك وبينه فتريد لنفسك شيء من الخير وتريده له وهذه هي الأصل المطلوب بين المؤمنين ويأتي بعدها الدرجة الأقل وهي الأثرة- وهي صفة ذميمة - و الأنانية والاستجابة للنوازع الفردية دون مراعاة الضبط الاجتماعي.

فيكون الشخص أناني يستأثر بكثير من الأمور ولا يفكر في إخوانه المسلمين ولا حاجتهم وقد يستأثر بأمور من النافع العامة كأن يكون هناك ماء عذب بمنطقة مياهها مالحة فيأتي أحدهم ويمنع هذا الماء عن غيره فهذه أثره مقبلة مذمومة وهي خلاف الضبط الاجتماعي الذي جاء به الإسلام.

من وسائل الضبط الاجتماعي في الإسلام :

*نشر المحبة بين أفراد المجتمع فتظهر آثار هذه المحبة على التعامل والممارسة وألوان العلاقة .
ومن صور ذلك عندما يكون المدين معسر لا يستطيع الوفاء فالدائن-من مقتضى المحبة- أن لا يشق عليه أو يسجنه ويطالبه بحقه مع علمه بعدم استطاعة المدين لذلك يقول الله تعالى: (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) فيفترض بالدائن أن ينتظره ويمهله لأن الدائن لا يستطيع السداد-غير لو كان مماطل فإذا كان مماطلا يحق له أن يسجنه لأنه ظالم لكن إذا لم يكن مماطل فمن مقتضى المحبة والعلاقات الاجتماعية إنظار المعسر وعدم تكليفه ملا يطيقه أو يشق عليه *لذلك جاء التوجيه الإسلامي بحقوق بين المسلمين فكل مسلم له حقوق وعليه واجبات تجاه المسلمين . للأسف كثيرا ما يقع بين المسلمين أن تبرز بينهم النزعة الفردية ولا يضبطها بالضبط الاجتماعي فتجده يفكر في حقوقه ولا يفكر في واجباته ونلاحظ أن كل مجتمع يكون بين أفراد من العلاقات ما يستدعي هذا التبادل بين الحقوق والواجبات لذلك نجد الرسول-صلى الله عليه وسلم-يقول:"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة".
هنا جعل الرسول- صلى الله عليه وسلم- أول مرحلة هي كف الأذى " لا يظلمه ولا يسلمه" ولا يسلمه أي لا يسلمه إلى من ظلمه ولا يتزك نصرته وهذه درجة أعلى .

و يأتي بعدها درجة ثانية أقل " من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته" فهنا يرغب الرسول- صلى الله عليه وسلم- في القيام بدور أعلى من مجرد ترك الظلم أو نصرته حين يظلم وهو أن تكون في حاجة أخيك فتنتال ثواب عظيم وهو أن

يكون الله في حاجتك وما أحوجنا إليه في كل شئون الحياة فلو تأملنا هذه المعاني العظيمة لوجدنا من أنفسنا مبادرة إلى مساعدة الآخرين ولكن يغيب هذا عن بالنا. ثم يأتي بعد قضاء حاجة المسلم درجة الثالثة أقل وهي تفريج كربته "ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة" وبعدها الدرجة الرابعة وهي ستر المسلم "ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"

وتلخيصا ما سبق من وسائل الضبط الاجتماعي بالإسلام :

١. أنه زرع المحبة بين أفراد المجتمع وجعله جزء من الإيمان والاعتقاد المؤدي لدخول الجنة.
 ٢. وضع حقوق بين أفراد المجتمع فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم- "حق المسلم على المسلم ست" وذكر منها رد السلام وكف الأذى وتشميت العاطس وتلبية الدعوة..و حث و رغب في أدائها.فقال -سلى الله عليه وسلم- "المسلم أخو المسلم....".
 ٣. إيجاد تشريعات يحتكم إليها أفراد المجتمع عن رضا وطيب نفس بكل شئون الحياة لأنها من عند الله خالق البشر.
 ٤. وجود روادع تمثلت في تشريعات تتعلق بالعقوبات على أنواعها ففيها حماية وصيانة لأمن المجتمع كقتل القاتل وقطع يد السارق وغيرها يقول الله تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلافه).
 ٥. القيام بوظيفة لتثبيت وتسويق معاني الضبط الاجتماعي لذلك قال - صلى الله عليه وسلم- : "مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فكان بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإذا هم أخذوا على أيديهم نجا ونجوا جميعا وإن هم تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا".
- هذا الحديث مهم لأنمه يعالج الضبط الاجتماعي فهو يجعل المجتمع سفينة ويوجد بها من يخرق هذه السفينة وهو يظن أنه يصلحها ويعتقد أن تصرفه صحيح ولكنه بالحقيقة يضر بالآخرين فيجب أن يؤخذ على يده ويمنع مما أراد لا بد من حراسة السفينة من الغرق والمجتمع من الضياع كحال العاصي والمتبرجة فهم بالواقع يفسدون المجتمع قال تعالى: (لتأمنن بالمعروفه ولتنهون عن المنكر....)

الأساس الرابع: الأرض:

عندما بعث الرسول -صلى الله عليه وسلم- بمكة بدأ بالدعوة السرية فدعا خديجة -رضي الله عنها- وآمنت بما جاء وأيدته وشجعتة بكل ما تستطيع لذلك بشرها الله ببيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا تعب وكذلك دعا الرسول أبو بكر و علي و غيرهم و بدأ المؤمنون يتزايدون فأراد الرسول - صلى الله عليه وسلم- لهم مهذا يتواجدون به ويلتقون

ببعضهم لهذا كانوا يجتمعون بدار الأرقم ابن أبي الأرقم ليتعلموا القرآن وأمور دينهم فصعب عليهم إقامة الدين لأنهم لم يكن لديهم أرض يملكونها.

وتنبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى ذلك فكان لا بد لهم من الهجرة ليحافظوا على دينهم وحتى يستطيعوا إقامة التشريعات الواجبة عليهم فكانت الهجرة من أعظم العبادات بذلك الزمن وكانت واجبة ليفروا بدينهم فبحث النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أرض ليهاجر إليها المسلمون وينشئ مجتمع خاص بهم ، فكان - صلى الله عليه وسلم - يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج ولم يجيبوه فعرض دعوته على أهل الطائف ولم يجيبوه أيضا بل سلطوا عليه صبيانهم ليعذبوه ثم عرض دعوته على أهل المدينة فاستجابوا له فوجد النبي - صلى الله عليه وسلم - الفرصة لإقامة الدين والتحكم بالأرض فكانت الهجرة من أعظم أحداث التاريخ الإسلامي لأنها هيأت الأرض والمناخ المناسب لإقامة مجتمع إسلامي متميز ومستقل .

*لقد تضمن القرآن ربطا بين إقامة الأحكام الشرعية وبين التمكين في الأرض فقال تعالى : (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور).

* من الحالات التي يتعين بها الجهاد إذا ذهب العدو لأرض المسلمين فيجب عليهم الدفاع عن أرضهم لأجل مصلحة المجتمع الذي لا يمكن أن ينبنى دون أرض فكان الدفاع عنها لحاجة المجتمع الإسلامي لها ليقوم أحكامه وتشريعاته لا لأجل التراب والعرق وغيره.

*الولاء للأرض مشروع لكن الانتماء للأرض لمجرد التراب و الأصل والعرق فهو من صور الوثنية.

سمات المجتمع الإسلامي

ذكرنا سابقا أن أسس بناء المجتمع الإسلامي موجودة في أسس بناء المجتمع الإنساني ولكن نظرة الإسلام لهذه الأسس جعلتها بمواصفات عالية و بمميزات خاصة وكان من نتيجة ذلك أن خرج المجتمع الإسلامي مجتمع مميز وله سماته الخاصة التي تميزه عن سائر المجتمعات .

من أبرز سمات المجتمع الإسلامي :

- ١ . ملتزم بالشرع
- ٢ . متسامح
- ٣ . آمن
- ٤ . متناصح
- ٥ . تسوده المساواة
- ٦ . متراحم
- ٧ . متجاوب مع ولاة الأمور

السمة الأولى:

أنه مجتمع منضبط ملتزم بالشرع ، ونعني بهذه السمة أن للمجتمع الإسلامي مرجعيته العليا وهي الوحي بشقيه (كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم) - بحيث أن كل أفراد المجتمع يعودون إلى هذه المرجعية سواء في الأفكار و التصورات و المفاهيم أو في الأحكام و المعاملات سواء في حالة الرضا والعلاقات الحسنة أو في حالة التنازع والخصومات والمشاحنة بين الأفراد فإن مرجع المجتمع كله هو الكتاب والسنة ولذلك يقول الله سبحانه: (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) ، فكل ما تنازع الناس فيه فمرده ومرجعه إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم- وقال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) ويقول -عز وجل-: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم).

وعند التأمل في سبب نزول هذه الآية يظهر لنا أن المرجعية العليا ليست خاصة في أمور العبادات كالأوامر والنواهي وإنما هي شاملة لكل شئون الحياة.

سبب نزول الآية :

أنه كان هناك صحابي أسود اللون دميم الخلقة فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم-: ألا تتزوج؟ فقال: ومن يزوجني يا رسول الله؟ فقال له : اذهب إلى بيت فلان وقل لهم أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-يقول لكم زوجوني ابنتكم فلانة.

وعندما جاء هذا الصحابي لذلك البيت وقال لهم ذلك انزعجت الأم- فكيف أزوج ابنتي لهذا الرجل الأسود دميم الخلقة - وتردد الأب فهذا أمر النبي وهذا حال الرجل والفتاة تسمع وهي المعنية بالأمر فقالت الفتاة لأمها: وماذا تريدون؟ قالت: نريد أن نرده. فقالت: كيف تردوه و قد جاء من الرسول- صلى الله عليه وسلم. ردت الأم: كيف نقبله وهو بهذا الشكل؟ فقالت: إذا كان الرسول- صلى الله عليه وسلم اختاره فكيف نرفضه؟ فأنزل الله : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم).

ومع أن هذه القضية اجتماعية ولكن الفتاة رضيت به لأن الرسول-صلى الله عليه وسلم-رضيه لها ومع ذلك لم يكتب الله أن يدخل بها فلما رضيت الفتاة ذهب هذا الصحابي الجليل إلى إحدى الغزوات وقتل قبل أن يدخل بها فنالت رضوان الله عز وجل.

• هذه المرجعية مهمة جدا فقد أخبر الرسول-صلى الله عليه وسلم-أن الالتزام بها فيه الأمان من الانحراف والزيغ والضلال لذلك قال الرسول-صلى الله عليه وسلم- : "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي". فجعل الالتزام بالكتاب والسنة أمان من الضلال والزيغ لذلك فإن المسلم يسأل الله الهداية إلى صراط المسلمين المفلحين في اليوم أكثر من ١٧ مرة قال تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

• هذه المرجعية لها أهميتها في ضبط المجتمع الإسلامي حتى يكون له مرجعية واحدة فكل ما جاء من جديد وكل ما حدث من نازلة في المجتمع فمردها إلى الكتاب والسنة يقول الله سبحانه : (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) فهذه المرجعية العليا هي الضابط الذي يضبط المجتمع فيما يأتي ويذر فيما يقبل ويرد .

• هذه السمة أزعجت أعداء الإسلام فحاولوا أن يخلخلوا هذه الثقة لدى المسلمين بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فتجدهم يحاولون أن يثيروا الشبهات و يحصروا الكتاب والسنة في زاوية ضيقة ويقولون إنما هذه في أمور العبادات الخاصة فلا دخل للكتاب والسنة في الاقتصاد والإعلام والسياسة و الاجتماع فلو كان هذا صحيحا فهل يعقل أن نحصر الدين في ٥% من حياة الإنسان ليمارس بعد ذلك ٩٥% على غير هدى من الله؟ إذا كان الله ورسوله يحكم ويفتي في ٥%؟ فمن الذي يحكم ٩٥%؟ هل نحكم فيها عقول البشر القاصرة التي لا تدرك مصلحة نفسها فضلا عن أن تدرك مصلحة المجتمع بشكل عام !! هذه السمة حرص الأعداء على التعرض لها وهز ثقة السلم بها ولكن ثقة المسلم الذي يقرأ كتاب الله وسنة نبيه لا شك أنه ينضبط بهذه المرجعية وينساق إليها برضا وطمأنينة و تسليم وقناعة فقال - عز وجل - : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فجعل تحقق الإيمان على ثلاث مراحل أولا: التحكيم " حتى يحكموك "

ثانيا: عدم وجود الحرج " ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا "

ثالثا: التسليم لأمر الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - " ويسلموا تسليما " .

السمة الثانية: أنه مجتمع متسامح

التسامح يقصد به السهولة في التعامل واللين في الطبع.

هذه السمة المهمة التي وصف بها النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدين فقال: "أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة". كما أن هذه السمة هي السماحة واللين والرفق والتيسير لذلك كانت قاعدة هذا الدين فقال تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقد استنبط العلماء قواعد أصولية من هذه الآية أهمها أن الحرج مرفوع في الشريعة الإسلامية فكل تكليف يؤدي إلى حرج فإن الحرج مرفوع والمرء معذور ولا يخاطب بهذا الأمر الذي يخرجه ويشق عليه ولذلك من فروع هذه القاعدة العامة قاعدة أيضا كبيرة وهي أن الضرورات تبيح المحظورات لذلك لما حرم الله الذبائح قال: (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه). ففي حال الاضطرار يختلف الأمر أي أن كل الأحكام الشرعية مبنية على هذه السمة لذلك من القواعد العامة التي جاء القرآن بتقريرها قوله تعالى: (لا يظلم الله نفوسا إلا وسعها).

فكل التكاليف الشرعية وكل الأوامر معلقة حسب الاستطاعة وهذا من رحمة الله بالعباد وسمة من سمات هذا الدين قال الله - عز وجل - : (فاتقوا الله ما استطعتم) فجعل التقوى حسب الاستطاعة حتى في العبادات قال - صلى الله

عليه وسلم:- "صل قائماً فإن لم تستطع فقاعدا إن لم تستطع فعلى جنب" ولذلك جاءت التشريعات سمحة سهلة يسيرة للمسافر يشرع له الفطر في رمضان - أي الصيام الواجب- ويشرع له أن يقصر الصلاة الرباعية وأن يجمع بين الصلاتين في حال السفر ويمسح على الخفين ثلاثة أيام بلياليها وغيرها من الأحكام المتعلقة بالحاجة...

أيضا هذه السماحة ليست خاصة بالعبادات الواجبة على الإنسان بل هي متعدية إلى معاملاته مع الآخرين ، فأولاً: امتدح الله نبيه- صلى الله عليه وسلم- باللين والسماحة والرفق وهذا مما يؤلف بين المجتمع ويقرب بين أفراده فقال: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك).

ثانياً: نجده في المعاملات بين الناس فمثلا النفقة واجبة على الزوج ونفقة الرضاة ولكنها في حدود الاستطاعة يقول الله سبحانه: (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلوه الله نفسا إلا ما آتاهها). لاحظي هذه القاعدة العظيمة التي وردت في سياق التعامل مع الناس في حال النفقة بين الزوجين فإذا كانت النفقات الواجبة مناة بالاستطاعة فكيف بالنفقات الزائدة عن الحاجة أو المباحة ؟ كيف يكلف بها المرء ما لا يطيق ؟ وقد أكد النبي- صلى الله عليه وسلم - هذا المعنى خاصة في الحالات التي يظن بها أو يتوقع فيها المشاحنة بين الناس فقال: "رحم الله رجلا سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا اقتضى" ويقصد ب"إذا اقتضى" هو الدائن لأنه صاحب حق فهو في مركز القوة والمدين في مركز الضعف ففي هذه الحالة الدائن أحق بالتوجيه بأن يرفق بالمدين ويوسع له في الأجل و القضاء لأن القضية مهمة وتحتاج إلى سماحة لذلك كان توجيه الرسول -صلى الله عليه وسلم - لها.

السماحة ليست خاصة لأهل الإسلام فقط و إنما من سمات هذا المجتمع السماحة حتى مع غير المسلمين فمثلا في الأبوين يقول الله سبحانه: (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وطاحبهما في الدنيا معروفا). فأمر بمصاحبتهما بالمعروف مع أنهما يأمرانه بالشرك فهى عن طاعتهما بالشرك إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولكن يجب عليه أن يحسن إليهم لذلك قال الله - عز وجل-: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في دينكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم). وهذا يقودنا إلى شيء مهم جدا يجب التنبيه له وهو أن السماحة يجب أن تكون في موضعها لتكون جيدة وحسنة وحميدة أما إذا لم تكن في موضعها فهي ليست مطلوبة وليست ممدوحة فمثلا السماحة مع الأعداء المعتدين على أهل الإسلام ليست مشروعة فهي في غير موضعها بل المشروع معهم هو كما قال الله تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم) فأمر الله نبيه-صلى الله عليه وسلم- بالغلظة على هؤلاء الكفار المعتدين فالسماحة لها موضعها و مكانها و لا بد أن توضع في موضعها اللائق بها حتى لا تكون مؤشر ضعف وهزيمة وهوان فالإسلام يرفض ذلك فهو يمنح المجتمع المسلم السماحة في حال قوته وإمكاناته فالسماحة في المجتمع المسلم ليست نتيجة ضعف أو عجز ولكنها من منطلق القوة لذلك فقد جعل الإسلام من سمات

عباد الرحمن السماحة فيقول جل جلاله: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) فيعرضون عن الجاهلين ولا يلتفتوا إليهم أو ينشغلون بهم وإنما يقولون سلاما بلسان حالهم قبل أن يكون بلسان مقالهم.

السماحة تبلغ في المجتمع المسلم أن يعامل المرء بالاحسان من يسيء إليه حينما يكون ذلك سببا لاجتذابه للحق وقبوله للخير كما قال الله: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينهم عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم).

السمة الثالثة: أنه مجتمع متراحم

فالمجتمع الإسلامي مجتمع متراحم تسود الرحمة بين أفرادهِ لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الراحمون يرحمهم الله" ويقول "من لا يرحم لا يرحم" ويقول "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".

وقد وصف الله أصحاب نبيه - صلى الله عليه وسلم - بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم فهذا حال مجتمع الجيل الأول الفريد الذي تربي على يد النبي صلى الله عليه وسلم. فنجد أن الرحمة سمة في المجتمع الذي تربي على يد الرسول - صلى الله عليه وسلم - فالنبي لم يكتف بالقول في توجيه المجتمع للرحمة وإنما رأى الصحابة تعامل النبي ورحمته وقد زكاه الله بهذه الصفة فقال سبحانه: (بالمؤمنين رؤوف رحيم). فالنبي - صلى الله عليه وسلم - عاش هذه السمة في المجتمع الذي تربي فيه.

ومن الأمثلة التي تبين رحمته عليه السلام:

* كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب بالناس وإذا بأحد ابنيه الحسن أو الحسين - رضي الله عنهما - يأتي وعليه ثوب طويل فيتعثر فيه يطأ بقدمه طرف ثوبه فيقع على وجهه والنبي يخطب بالناس فرأى هذا المشاهد فلم يصبر عليه الصلاة والسلام حتى نزل وأخذ هذا الغلام وصعد به المنبر ثم قال للناس: "إني رأيت ابني هذا وهو يعثر في ثوبه فلم أتمالك - يعني أن أراه في هذه الحال - فنزلت فأخذته". فكان هذا درس للمجتمع ولكل الأمة التي بلغها هذا الحديث كيف أن النبي يقطع خطبته وينزل لأجل هذا الغلام الذي تعثر في ثوبه! هذه هي الرحمة النبوية التي تتلمذ عليها أصحاب رسول الله عليه السلام.

* كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحمل أمانة في الصلاة حتى يمنعها من البكاء فإذا سجد الرسول وضعها على الأرض وإذا قام أخذها ولذلك يشرع للمرأة إذا كان صبيها يبكي أن تحمل هذا الصبي حتى وهي في صلاتها.

* وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يصلي بالناس فجاء أحد ابنيه وامتنى ظهره وهو ساجد فأطال النبي عليه السلام سجوده حتى رفع أحد الصحابة رأسه ورأى هذا المشهد ثم رجع وسجد فلما سلم النبي لم يسكت ويدع هذا الأمر بل أراد أن يخبرهم ويوصل لهم رسالة ليربيهم ويعلمهم فقال عليه السلام: "إن ابني هذا ارتحلني فلم أشأ أن أعجله حتى يقضي مهمته". وهذا من رفقته ورحمته عليه الصلاة والسلام.

وقد ظهرت آثار تربية النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه فمن الأمثلة على ذلك:

* هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عرف بالقوة والشدة والحزم ومع ذلك كان يعس في المدينة بآخر الليل فسمع بكاء صبية بطرف المدينة فجاء فإذا بامرأة والصبية حولها يتضاغون فقال لها عمر: اسكتي صبيانك. فقالت: حسبي الله على عمر. فقال: ما شأنك؟ قالت: إني لا أجد ما أطعمهم. قال: هذا القدر على النار ماذا به؟ قالت: فيه حجارة أسكتهم بها حتى يناموا. فقال لها عمر: وما يدري عمر عنك؟ قالت: يلي أمورنا ولا يدري عنا! فبكى عمر بكاء شديدا ثم رجع إلى بيت المال وحمل جراب الدقيق وعكة السمن وأراد مولاه أن يحمل عنه فنهاه وقال: ثكلتك أمك وهل تحمل عني أوزاري يوم القيامة! فجاء أمير المؤمنين بالدقيق والسمن ووضع بين يدي المرأة حتى طبخته وبقي عمر بعيدا ينظر إليهم فقال له غلامه: لننصرف ماذا ننتظر وقد أعطيناهم. فرد عليه عمر: والله لا أنصرف حتى أراهم يضحكون كما رأيتهم يبكون. فبقي عمر يرقب هذه المرأة وهي تطعم صبيانها حتى إذا شعبوا قاموا يتصارعون وهم يضحكون فرجع عمر رضي الله عنه.

* جاء عمر يوماً وهو يعس بالمدينة وإذا بصبي يبكي فجاء إلى أمه وقال: اسكتي صبيك. فسكتت ومضى عمر والغلام يبكي فرجع إليها وقال: اسكتي الصبي يالك من أم سوء. فقالت: وماذا أصنع وقد أصدر عمر قراره بأن لا يعطى من بيت مال المسلمين إلا من فطم فأنا الآن أفطمه قبل أوانه حتى يستحق من بيت مال المسلمين. فتأثر عمر وبكى وقال كم قتلت من أبناء المسلمين ثم أصدر قراره بعد صلاة الفجر من ذلك اليوم وقد صلى بالناس وهو لا يكاد يتم صلاته من البكاء بأن العطاء في بيت مال المسلمين لكل مولود في الإسلام. فعمم عمر العطاء من بيت المال لكل مولود بالإسلام بعد أن كان قد استثنى من لم يفظم ظناً أنه لا يحتاج لهذا العطاء فهو يعتمد على حليب الأم.

المقصود أيتها الأخوات أن المجتمع الإسلامي مجتمع متراحم تسوده الرحمة بين أفرادها، ثم انظري معي إلى هذا المجتمع المتراحم كيف ستكون العلاقة بينهم؟ كيف ستكون الصلات كيف سيكون التعامل؟ لاشك انه شيء عجيب جداً من إعانة بعضهم لبعض، ومساندة بعضهم لبعض، وإحسان بعضهم لبعض، مجتمع متراحم الرحمة تسري في أفراد المجتمع كما يسري الدماء في عروقهم.

هذا المجتمع المسلم سمة عظيمة من سماته انه مجتمع متراحم وكان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يقبل أحد أطفاله الحسن و الحسين فراه أحد الأعراب ، فقال الأعرابي: تقبلون صبيانكم! إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك". يقول ماذا أصنع لك إذا الله نزع الرحمة من قلبك وهذا الأعرابي يفتخر أن له عشرة من الولد ما قبل أحدا منهم فكأنه يقول ماذا اصنع لك إذ نزع الله الرحمة من قلبك ، هكذا أيتها الأخوات هذا المجتمع المسلم المتراحم فهذه هي السمة الثالثة.

السمة الرابعة: أنه مجتمع آمن

والأمن من ضروريات الحياة فليس الأمن بالأمر اليسير أو السهل فهو من ضروريات الحياة فالإنسان لا يمكن أن يعيش بهناء وسعادة وبنام قرير العين بدون الأمن، كثير من العبادات وكثير من الأعمال الصالحة لا يمكن أن تكون بدون الأمن، فالأمن ضرورة حياتيه مثل الطعام والشراب ولذلك الأمن مهم جداً، وكذلك توفير الأمن ليس بالأمر السهل الهين

فتوفير الأمن أمر مهم جدا وصعب، ولذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى قرن الأمن بالإيمان وضرب لذلك مثلا فقال الله سبحانه وتعالى: (ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان) لاحظي قرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من كل مكان "فكفرت بأنعم الله" فما الذي حصل لما كفرت بأنعم الله؟ "فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون"، ولذلك إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحيي دينه ولذلك يقول الله جل جلاله : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون).

هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم فهموها فهما خاطئا وقد صحح النبي صلى الله عليه وسلم لهم هذا الفهم، ماذا فهم منها الصحابة؟ ما هو الإشكال الذي حصل عند الصحابة رضي الله عنهم؟ قالوا: أينا لم يظلم نفسه؟

يعني الظلم لا أحد يسلم منه؛ الظلم الذي هو ظلم الإنسان لنفسه ولغيره أو معصية الله إذا كان لا يتحقق الأمن إلا لمن سلم من الظلم فمن الذي يسلم! قال الصحابة: وأينا لم يظلم نفسه، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: انه ليس الأمر الذي تذهبون إليه ألم يقل العبد الصالح (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) ، فبين لهم أن المقصود هنا بالظلم هو الشرك، يعني الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بشرك أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

*** لكن الإسلام عني بهذا الأمر عناية فائقة واتخذ عددا من الطرق والعوامل لتحقيق الأمن في المجتمع الإسلامي:**
العامل الأول:

عن طريق العناية بالفرد وتربيته وتنشئته وتنشئه صالحة، لأن المجتمع يتكون من عدد من الأفراد فإذا كان الفرد المسلم عنده وازع إيماني يعصمه من ارتكاب الجريمة و إيذاء الناس صار هذا فيه حفظ للمجتمع المسلم من شرور هذا الفرد، و المجتمع كله هو مجموعة من الأفراد ولذلك نجد أن الإسلام عني بتنشئة البيت المسلم من البداية فوجه الرجل إلى الزواج بذات الدين وقال عليه الصلاة والسلام: " تتكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها فاظفر بذات الدين تربت يداك" ، وقال لولي المرأة وللرأة: " إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض" ، فإذا كان الزوج صاحب خلق ودين والزوجة ذات خلق ودين فان هذا مظنة أن يكون أبناءهم متأثرين بهم فيعيشون في هذا الجو الصالح فيستفيد المجتمع ويحظون على المجتمع

أمنه ولذلك تجد أن عامة المجرمين في الغالب عندهم مشكلات معينة إما انه ينشأ يتيما أو أمه مطلقة أو بعيدة عن أبيه أو نشأ في أجواء معينة عانى فيها من سوء التربية فيشب حاقدا على المجتمع ويفعل ما يريد للانتقام منه.

الطريق الثاني:

العناية بالمجتمع والأسرة هي التي تكون المجتمع ولذلك الأسرة تمنح الفرد المحضن التربوي الذي يحافظ على سلوكه ويضبط تصرفاته، فوجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى القيام بحماية أفرادها فقال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقدها الناس والعبارة "

فهي مسؤولية الأسرة في تكوين محضن تربوي للأفراد كما أن مسؤولية المجتمع المحافظة على هذه الأسر التي يتشكل منها المجتمع.

الطريق الثالث

التوجيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث تكون ممارسة أو المحافظة على هذه الأجواء الصالحة وعلى رعاية المجتمع هي مسؤولية المجتمع بأكمله كما قال الله عز وجل:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) وكما قال الله: (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) وقال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) فهي مسؤولية جماعية يقوم عليها كل أفراد المجتمع.

الطريق الرابع:

العقوبات والزواج في الشريعة الإسلامية التي تحفظ أمن الناس؛ الأمن بمفهومه الشامل أمنهم في أنفسهم وفي أموالهم وفي أعراضهم وفي كل شؤون حياتهم فهناك زواج وعقوبات وحدود شرعية لضبط المجتمع المسلم والمحافظة على أمنه فالقاتل يقتل والسارق تقطع يده والمحارب المفسد في الأرض إما أن يقتل أو يصلب أو تقطع يده رجلا من خلاف أو ينفى من الأرض، وهكذا المعتدي على العرض إن يرمي رجلا أو امرأة بالزنا يقام عليه

حد القذف، من يسب أو يشتم يعذر و يتم بذلك حفظ أعراض المجتمع والمحافظة على أمنه ولذلك قال الله سبحانه وتعالى (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) ،وكيف يكون في القصاص حياة والقصاص قتل ؟

لأن قتل هذا الفرد القاتل يمنع غيره من أن يمارس عملية القتل فيكون في موته حياة للآخرين.

أيضا من الأمور المهمة في شأن الأمن الفكري، لأنه جانب مما يحصل في المجتمع من الترويع والإخافة هو من بعض العصاة من قطاع الطرق من أصحاب المخدرات وهؤلاء تتفع معهم العقوبات الشرعية والحدود والزواجر.

هناك فئة في المجتمع قد تؤدي إلى الإخلال بالأمن من خلال اجتهادات خاطئة وفهم منحرف لهذا الدين كمن يمارس بعض أنواع العنف تحت مظلة الجهاد في سبيل الله، وكمن يستبجح دماء المجتمع نتيجة للحكم عليه بالكفر وهو مخطئ في هذا الحكم لكن المعالجة لهذا النوع من الناس ليست كالمعالجة للجانب الآخر هذا النوع من الناس عنده مشكله فكرية عنده خطأ في الفهم يحتاج إلى تصحيح وتعديل لأنه مثل هذه النوعية لو قتل يفرح بالقتل لأنه يرى أن القتل يؤدي به إلى الجنة لكن مثل هذا يحتاج إلى توضيح الصورة وبيان الحق له ويفهم تفهيمًا صحيحًا أن أحكامه ليست صحيحة وان ممارسته ليست من الجهاد في سبيل الله حتى يكون هذا سبب في رجوعه عن الانحراف وعن هذه الممارسة التي تخل بأمن المجتمع نحتاج إلى الحوار الفكري الذي يؤدي إلى الأمن الفكري.

والأمن في المجتمع المسلم يجب إن يفهم أننا شاملا فالمجتمع الإسلامي مجتمع آمن ليس آمن في الجوانب الجنائية ولكنه آمن في الجوانب الجنائية آمن في الجوانب الفكرية آمن في الجوانب الاقتصادية فالأمن الغذائي هو جزء من الأمن، ولذلك يمنع الاحتكار ويمنع رفع الأسعار وظلم الناس في ذلك و يطالب ولي الامر بمنع التجار من الإضرار بالمستهلكين .

وهكذا في جميع جوانب الأمن حتى الأمن الأسري مسؤولية الحاكم المحافظة على الأمن فليس من حق الزوج أن يظلم زوجته ويتعدى عليها فيه محاكم وفيه قنوات نظامية وشرعية لرد المظالم إلى أهلها كما أن الفرد يتحقق له الأمن في مواجهة المؤسسات سواء مؤسسات حكومية أو مؤسسات أهلية فهناك جهات قضائية يمكن أن يرفع دعوى على مؤسسه أهلية أو حكومية وينتزع حقه منها بقوة الشرع وبقوة النظام التنفيذي هنا يتحقق الأمن بمفهومه الشامل الأمن على النفوس الأمن على الأعراض الأمن على الأموال الأمن في جميع جوانب الحياة.

أسباب تقوية الروابط الاجتماعية

مع أن الإنسان مدني بطبعه وفي غريزته حب الاجتماع بالآخرين والالتفاف حولهم فهي غريزة جعلها الله في فطرة الإنسان إلا أنه قد يكون في الإنسان ضعف أو انشغال عن الوفاء بالروابط الاجتماعية والقيام بها أو قد يكون لديه أسباب للاعتزال والوحدة فالإسلام لم يترك الإنسان فقط لهذه الغريزة وإنما سعى في تتميتها وتفعيلها وحمايتها فجعل هناك عدد من الوسائل و الأسباب التي تعين على تقوية الروابط الاجتماعية .

من الوسائل و الأسباب التي عني بها الإسلام لتقوية الروابط الاجتماعية:

الوسيلة الأولى: تشريع صلاة الجمعة والجماعة والعيد والجنائز التي يجب حضورها على الرجال فبعضها لا تصح ولا تقوم إلا بالجماعة لأهمية الاجتماع.

فصلاة الجماعة واجبة على الرجال في المساجد وكذا الجمعة لا تتم إلا بعدد معين إذا قل العدد عنه على اختلاف الفقهاء فإنه لا تصح الجمعة وكذا العيدين.

أما صلاة الجنائز فهي بالإضافة إلى ما يحصل فيها من الاجتماع فلها جانب آخر في الرابط الاجتماعي وهو ما يشعر به أولياء الميت من مشاركتهم في مصابهم والصلاة على ميتهم وهذا ظاهر في صلاة الجنائز فإنها **أولاً** من حق المسلم على أخيه المسلم

ثانياً فيها نوع من المواساة لأولياء الميت في وفاة فقيدهم وتعزيتهم في مصابهم ولذلك تجد بعض الناس قد لا يحافظ على الصلاة المفروضة نفسها ولكنه يشهد صلاة الجنائز إذا كانت الجنائز لقريب أو صديق فيحضرها لواجب اجتماعي مما يظهر أثرها في الربط الاجتماعي فأهل الميت يفقدون من لم يأت للصلاة عليه ممن يظنون به قرابة أو صداقة أو شيء مما يستوجب مشاركته لهم في مصابهم.

المقصود أن هذه التشريعات عني بها الإسلام لتحقيق وتنمية الروابط الاجتماعية فهي صلاة مشروعة والنصوص على وجوب صلاة الجماعة كثيرة ولكن نكتفي بأمرين:

الأول أن الله أمر بها حتى في حال الحرب وملاقاة العدو فتقام صلاة الخوف وهي جماعة.

الثاني أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أراد أن يحرق على المتخلفين عن صلاة الجماعة بيوتهم بالنار فقال عليه السلام: "ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام وأمر رجلاً فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من الحطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار" فهذا الوعيد الشديد لم يكن فقط بسبب ترك الصلاة بل أيضاً بسبب التخلف عن الاجتماع لها. وهذه التشريعات لاشك بأن لها أثرها في اجتماع المسلمين و انتلافهم فالمسجد يجمع الناس الذين يصلون فيه ويتألفون ويعرف بعضهم بعضاً.

الوسيلة الثانية: تشريع الإسلام للواجبات الاجتماعية الخاصة تقوية للروابط الاجتماعية،

ومن هذه الواجبات الخاصة:

١. بر الوالدين وطاعتهما والإحسان إليهما.
٢. صلة الرحم والإحسان إليهم.
٣. الإحسان إلى الجيران وتجنب إيذاءهم.

١. بر الوالدين وطاعتهما والإحسان إليهما.

ونجد أن الله سبحانه قرن بر الوالدين بأعظم أمر وأهم ركن وهو التوحيد فقال جل جلاله: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفه ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا).

هذا هو دين الإسلام دين الوفاء وأداء الحقوق فالوالدان قاما بجهد في رعاية هذا الابن فإذا شب هذا الابن وكبر فعليه أن يبرهما فهما من أسباب وجوده في هذه الحياة ولذلك قرن الله حقهما بحقه و قرن العقوق بالشرك بالله قال: (والمجدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) وقال عليه الصلاة والسلام عن أكبر الكبائر: "الإشراك بالله وعقوق الوالدين".

فجعل العقوق بعد الشرك مباشرة مما يدل على عظم هذه الجريمة وخطورة ارتكابها. وهناك العديد من النصوص من السنة النبوية التي تؤكد على بر الوالدين والإحسان إليهما فالأم التي حملت ولدها كرها ووضعته كرها فكان ثديها له سقاء وحننها له وعاء تسر لفرحه وتحزن لحزنه وتسهر على راحته فكيف سيكون حقها! والإسلام دين الوفاء وأداء الحقوق.

- قد يتحول الأمر المباح إلى واجب يأثم العبد بتركه إذا أمر به الوالدان أو أحدهما وقد يكون الأمر المباح محرما إذا نهى عنه الوالدان أو أحدهما مع أنه في الأصل مباح فمثلا لو أراد شاب أن يخرج من بيته ومنعته أمه فيحرم عليه الخروج وقد منعته أمه لأنه يجب عليه أن يطيعها.

- فطاعة الوالدين لا بد أن تكون في غير معصية الله إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومع ذلك لو أمره بمعصية أو بالشرك فإنه لا يطيعهما ولكن يبر بهما ويحسن إليهما لذلك يقول الله عز وجل: (وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناج إليك). فحتى لو أمرنا بالشرك لا بد من البر والإحسان وإن كانا على غير الإسلام فكيف بالوالدين المسلمين المطيعين لله؟

• فبر الوالدين من أعظم الأعمال الصالحة لذلك فإنه من الغبن والخسارة الكبيرة أن يكون لدى الابن أبويه ثم لا يدخل الجنة وقد ورد عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه صعد على المنبر ثم قال: آمين. فتعجب الصحابة وسألوه: يا رسول الله إنك قلت آمين! فقال: إن جبريل أتاني فقال: يا محمد من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة فأبعده الله قل آمين فقلت آمين. هذه دعوة جبريل وتأمين الرسول عليه السلام لأن باب الجنة مشرع بين يديه فلم يدخلها فما يستحق أن يكون من أهل الجنة فالوالدان باب مشرع من أبواب الجنة. لذلك فإن الجنة تحت أقدام الأمهات فقد قال عليه السلام في وصيته: "الزم قدميها فإن الجنة ثم " أي من كان يريد الجنة فإنه يجدها عند قدمي أمة وبحمد الله فإن المجتمعات الإسلامية جملة لها عناية بالوالدين ويظهر هذا في الصور المشرقة الحية من البر الذي نراه في مجتمعاتنا فمثلاً قد نرى هذه المرأة العجوز الأمية التي لا تقرأ ولا تكتب ومع ذلك فهي ملكة في بيوت أبنائها وبناتها تأمر فتطاع وتتهى فيمتنع عما نهت عنه نجد أبنائها على اختلاف مناصبهم -سواء كان طبيب أو أستاذ,,, يقبلون يديها ويتذللون بين قدميها وبطيوعونها وهي أمية. كذلك الأب الشيخ المسن الذي قد وصل به الحد للخرف نجد أبنائه يحيطون به و يهتمون به وبطيوعوه فهذا هو الإسلام وبر الوالدين.

• كثرة دور رعاية المسنين بالغرب لا تدل على الروابط الاجتماعية الوثيقة وإنما هي أكبر دليل على تحلل وتفكك الروابط لذلك نجد في الغرب ما يدعى بعيد الأم فعندما عرف الغرب قدر الأم وأهمية رعايتها وما لها من حقوق وضعوا يوم في العام يدعى عيد الأم. وقد يتشبه بعض المسلمين بالغرب دون فهم أو وعي فهؤلاء الذين وضعوا عيداً للأم هم من تركوا أمهاتهم وأعرضوا عنهن فلا يرونهن إلا يوماً بالسنة يحتفلون فيه ويحضرون الورود والحلوى فكان هذا الاحتفال لأنه اليوم الذي يرى به أمه لذلك يأتي شخص جاهل ليحتفل بعيد الأم وهو يرى أمه بالصباح والمساء فعيد الأم هو بالحقيقة مؤشر على عدم رعاية الأم وعدم الإحسان إليها أما نحن والله الحمد فكل يوم من أيامنا هو عيد لأمهاتنا فلنسنا بحاجة لما يسمى بعيد الأم.

٢. صلة الرحم والإحسان إليهم والأرحام هم أقارب الإنسان من جهة أبيه أو أمه كأعمامه وعماته وأخواله وخالاته وأبناء أعمامه وعماته وأبناء أخواله وخالاته فكل هؤلاء جميعاً هم من الأرحام الذين أوجب الله برهم والإحسان لهم وجعل ذلك من الصلة التي أمرنا الله بها .

*لذلك فإن الصلة من الأعمال الفاضلة التي لها أثرها على الإنسان فهي بركة في الرزق وبركة في العمر فقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: " من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه" وقال: "لا يزيد العمر إلا الصلة" .

*وبالمقابل فإن الله سبحانه شنع على من يقطع رحمه وتوعده بالعقاب الشديد فقال تعالى: (فهل حسيتهم إن توليتهم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا يدخل الجنة قاطع" فالجنة تحرم عليه ومأواه النار مما يدل على خطورة هذا الأمر -قطع الصلة.

*والناس في مسألة الصلة درجات أو دركات :

الأولى: **القطيعة** وهي التي نهى الله عنها وتوعد عليها.

الثانية: **المكافأة** "ليس الواصل بالمكافأ" والمكافأ هو الذي يصل من وصله ويقطع من قطعه فلا يزور ولا يحسن إلا لمن زاره وأحسن إليه.

الثالثة: **الصلة** فالواصل هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها " ليس الواصل بالمكافأ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها.

ورد بالحديث أنه جاء رجل يشكو إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسئون إلي فيسأل الرسول ماذا يصنع؟ فقال له النبي: " إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل " والممل هو الرماد الحار أي كأنك تطعمهم الرماد الحار لأنك صاحب فضل عليهم أما هم فأهل معصية.

* قد يرد سؤال عما إذا كانت الأعمار مكتوبة في الأجل فكيف يزيد العمر بالصلة مع أن أجله قد كتب وهو في بطن أمه عند نفخ الروح فيبعث إليه ملك فيأمر بأربع كلمات :بكتابه رزقه وأجله فكيف نوفق بين ذلك وبين قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: " لا يزيد العمر إلا الصلة", " من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه" ؟ هناك جوابان : **الجواب الأول:** أنه في الأجل مكتوب لهذا الإنسان أنه سيصل رحمه وسيزداد عمره نتيجة لهذه الصلة.

الجواب الثاني : هو القول الثاني للعلماء أنه المقصود بزيادة العمر أي البركة فيه وهذه البركة ظاهرة في حياة الإنسان بمعنى أن يوفق للانتفاع بوقته فيقضي الأعمال الكبيرة في الأوقات اليسيرة فيبارك له العمل الصالح ويوفق فيه فمثلا عمر بن عبد العزيز من يقرأ بسيرته وإنجازاته يتوقع أنه عاش سنوات طويلة من كثرة أعماله ومع أن مدة خلافته سنتين إلا أنه حقق إنجازات ضخمة وذلك من البركة في العمر.

٣. **الإحسان إلى الجيران وتجنب إيذاءهم** والجار كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها "أربعين دارا" أي من اليمين أربعين ومن اليسار أربعين ومن الأمام أربعين ومن الخلف أربعين وقد يكون من الأعلى والأسفل أربعين -إذا كان بنفس العمارة- المقصود أن الجار حقه عظيم والمسئولية واسعة فليس هو فقط الملاصق لك ولكن أحق الجيران بك أقربهما باباً فالأقرب باب ولو لم يكن ملاصق هو الأحق.

*الجيران في الإسلام ثلاثة: جار له حق واحد وهو الجار الكافر- له حق الجوار، و جار له حقان وهو الجار المسلم- له حق الجوار والإسلام، و جار له ثلاثة حقوق وهو الجار المسلم القريب (ذو الرحم)- له حق الجوار والإسلام وحق الرحم.

* وقد عني الإسلام بالجار عناية كبيرة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره" وقال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره" والنصوص التي تحث على الجار كثيرة منها قوله عليه السلام: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" أي أنه من كثرة ما يأتي الوحي بحقوق الجار والتأكيد عليه ظن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ما بقي إلا أن يقول جبريل أن الجار يرث جاره مما يدل على عظم حقوق الجار وكثرتها.

* وتبدأ حقوق الجار على جاره أولاً: بكف الأذى فلا يؤذ الجار جاره بأصوات مزعجة أو روائح كريهة أو النظر في داره وكشف عوراته أو إيذاء أولاده وغيرها من الصور الكثير لأنها ممارسات يومية لذلك ورد التأكيد عليها فكان أول الحقوق كف الأذى ثم بعد ذلك بذل المعروف والإحسان ومنه ما هو واجب مثل الأمور المشتركة بين الجيران فما يصلح التقرب به فمثلاً لو أراد الجار أن يضع خشبة على جدار جاره فليس للجار أن يمنعه بل سيضعها سواء شاء جاره أو أبي لأن الشرع يلزمه بأن يضع الخشبة كما أراد جاره إذا احتاج لذلك .

* المقصود أن حقوق الجار كثيرة جداً تبدأ بكف الأذى وتنتقل إلى بذل المعروف والإحسان وصور ذلك عديدة: أما بالنسبة لكف الأذى فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره" وقال: "والله لا يؤمن-كررها ثلاثاً-الذي لا يأمن جاره بوائقه" فإذا كان الجار خائف مترقب من جاره لأن جاره مجرم متمرد عاتي فيتوقع منه جاره الإساءة في أية لحظة لا يأمن بوائقه فهذا الجار ليس من المؤمنين كما أخبر النبي عليه السلام وهذا فيه وعيد شديد وصور الإيذاء كثيرة والمقصود هو عموم الإيذاء فأى صورة من صور الإيذاء منهي عنها وهي محرمة . أما بالنسبة لبذل المعروف والإحسان فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "والله لا يؤمن-كررها ثلاثاً-قالوا من يا رسول الله؟ قال: "من بات شعبان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم" وصور الإحسان للجار كثيرة منها ابتداءه بالسلام، غض البصر عن حرمانه، التلطف معه ومع أولاده، حفظه في غيبته، ستر ما كشف من عوراته، مشاركته في أفراحه وأحزانه، مواساته في مصابه... وغيرها الكثير فصور الإحسان كثيرة و من الأمور المهمة التي تجعل المجتمع مترابط ويحب بعضه بعضاً.

الوسيلة الثالثة: دعوة الإسلام إلى أسباب التآلف الاجتماعي

فعني الإسلام بتشريعات تكون سبب في نشر الألفة داخل المجتمع المسلم وإزالة الوحشة والنفرة بين المسلمين ومن أبرز ذلك :

١. إفتشاء السلام . ٢. توقير الكبار والعطف على الصغار.

٣. أسباب أخرى لتقوية التآلف الاجتماعي.

أولاً: إفتشاء السلام الذي هو شعار أهل الإسلام، والمقصود هنا هو الذي جاء به الإسلام وليس عموم التحية وإنما هو السلام بصيغته الشرعية " السلام عليكم " أو "السلام عليكم ورحمة الله " أو "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" وهذا أكمل صيغ السلام وإفتشاء السلام هو إظهاره ونشره وإشاعته بين الناس والسلام والبدء به مستحب وفضيلة ورده على من بدأ به واجب بأن ترد التحية بمثلها أو بخير منها وقد أمر الله أن يرد العبد السلام والتحية بمثلها أو بأحسن منها وليس بالأقل فقال تعالى: (**وَإِذَا حَيَّيْتَهُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوهُمُ بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهُمُ**) والمقصود هو الرد بالصيغة الشرعية فالذي يقول لك السلام عليكم إذا رددت عليه بقولك عليك السلام ورحمة الله فقد رددت التحية بأحسن منها لأنك أضفت ورحمة الله وأما لو كان الرد أهلاً أو مرحباً فهذا الرد ليس بأحسن منها ولا مثلها بل هو خلاف المشروع والمشروع أن ترد التحية كما أمرك الله سبحانه وتعالى فلا يصح أن ترد على من سلم عليك بعبارة أخرى غير السلام كأن تقول "هلا" هذا خطأ لأن كلمة هلا ليست أحسن منها ولا مثلها بل أقل .

*إفتشاء السلام يسبب إشاعة الألفة بين المسلمين وإشاعة المحبة في القلوب وهذا يؤدي لدخول الجنة وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (أفشوا السلام بينكم) وجعل ذلك سبب في حصول المحبة التي هي من اثر الإيمان الذي هو سبب لدخول الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتوه تحاببتم أفشوا السلام بينكم".

والأعلى من درجة السلام هو المصافحة فهي من تمام السلام وقد ورد في المصافحة فضل عظيم جدا على يسرها وسهولتها فهذه الحركة البسيطة بين المسلمين هي سبب تحات الخطايا قال الرسول عليه السلام: " ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا". فتأمل! هذا الأجر العظيم في المصافحة وقد ورد في بعض الأحاديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا تصافح المسلمان تحاتت خطاياهما " وهذا فيه إشاعة للمعاني الجميلة بين المسلمين كالمحبة والألفة. ففي السلام إشاعة روح الأمن والطمأنينة فعندما ترى شخص قادم غريب عليك ويسلم يذهب ما في نفسك من خوف لأن لفظ السلام يعني حصول السلام من الأذى وحصول الاطمئنان وفي الغالب إن الذي يسلم لا يهدف إلى شر.

*من أحكام السلام وآدابه:

١. ما ورد بالحديث: "يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير" ورد السلام واجب أما إذا كان المسلم عليهم جماعة فإذا رد أحدهم يكفي عن الجماعة لأن رد السلام واجب كفائي إذا قام به البعض أغنا عن الباقين
٢. وأن يكون السلام بالصيغة الواردة بالشريعة وكل ما كان أكمل كان أكثر أجراً، فالنبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فسلم وقال: السلام عليكم فقال النبي: "عشر" ثم جاء الثاني فسلم وقال: السلام عليكم ورحمة الله فقال النبي: "عشرون" ثم جاء الثالث فسلم وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال النبي: "ثلاثون". فقيل للرسول عليه السلام: ما عشر وعشرون وثلاثون؟ فقال: "أن الأول قال السلام عليكم فكان له عشر حسنات و الثاني قال السلام عليكم ورحمة الله فكان له عشرين حسنة و الثالث قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فكان له ثلاثون حسنة".
٣. السلام في حال المفارقة -كمفارقة المجلس أو مفارقة الإنسان لأخيه فقال الرسول عليه السلام: "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة" فكما يشرع السلام عند الدخول إلى مجلس يشرع أيضاً عند الخروج منه فيبدأ مجلسه بالتسليم ويختمه بالتسليم ومما يؤخذ عليه في بعض المجتمعات الإسلامي استبدال السلام بعبارات أخرى من أنواع التحايا بل الأسوأ منه استخدام التحية الأجنبية وهذا من الهزيمة النفسية.

ثانياً: توقير الكبار والعطف على الصغار:

فالكبير في الإسلام له حق يجب على المجتمع المسلم أن يعرف حق الكبير وحق ذي الشيبة من المسلمين فالإسلام جاء بتوقير الكبير واحترامه ومعرفة حقه حتى لو لم يكن لهذا الكبير قرابة أو صلة أو حتى ظهور في العلم وإنما مجرد كونه كبير فله حق في الإسلام لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه" وكذلك من الحقوق على المجتمع المسلم العطف على الصغار ورحمتهم وتألفهم فتوقير الكبير والعطف على الصغير ومعرفة حق العالم من أخلاق الإسلام وآدابه ولذلك ذكر النبي عليه السلام انه من آداب الإسلام إكرام ذي الشيبة المسلم.

فالذي شاب في الإسلام له حق الإكرام والاحترام والتوقير وإذا حصل هذا فإنه يورث التألف بين أفراد المجتمع فالصغير يوقر الكبير والكبير يرحم الصغير ويألف بعضهم بعضاً ويحسن بعضهم إلى بعض وقد كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو رسول الله قائد الأمة عليه الصلاة والسلام كان يتلطف بالصغار فكان إذا مر بالطريق وكان فيه صغار

يلعبون سلم عليهم ولا يحتقرهم أو يقلل من شأنهم وكان إذا دخل المنزل يلاطف الصغار ويداعبهم عليه الصلاة والسلام ومن ذلك قصته مع طفل أم سليم الذي كان يداعبه بقوله: "يا أبا عمير ما فعل النغير".

وذلك أن غلاما صغيرا كان له عصفور يلعب به فمات هذا العصفور فجاء الرسول عليه الصلاة وهذا الغلام منكسر واجم لا يتكلم فسأل أمه ما به ؟ فقالت: كان له عصفور ومات فكان النبي عليه الصلاة والسلام يداعبه ويقول: "يا أبا عمير ما فعل النغير". يواسيه عليه الصلاة والسلام في عصفوره الذي مات وقد تأمل الإمام الشافعي رحمه الله في هذا الحديث ومكث ليلة كاملة لم يطرق النوم عينه يتأمل هذا الحديث قال حتى استتبطت من هذا الحديث أكثر من ثلاث مئة وستين فائدة من هاتين الكلمتين فقط يا أبا عمير ما فعل النغير المقصود انه من هدي النبي التلطف بالصغار ومداعتهم و إدخال السرور في أنفسهم مما يقوي التآلف داخل المجتمع الإسلامي.

ثالثا: هناك أسباب أخرى لتقوية التآلف الاجتماعي:

شرع الإسلام العديد من الوسائل لتقوية التآلف الاجتماعي و سبق الإشارة إليها فيما يعد من حق المسلم على أخيه المسلم كما قال النبي: "حق المسلم على المسلم خمس" وفي حديث آخر "حق المسلم على المسلم ست" وفي الحديث الآخر "المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله" إلى غير ذلك من النصوص التي جمعت الحقوق بين المسلمين ومن هذه الحقوق التي ذكرها المؤلف: الدعاء له وإجابة دعوته أي إذا دعاك إلى وليمة فتجيب دعوته إلا وليمة العرس فان إجابته واجبة فإذا خصك بالدعوة إلى وليمة العرس يجب عليك أن تجيب مالم يكن في هذه الوليمة منكر لا تستطيع إنكاره أما إذا لم يكن هناك منكر فيجب عليك الحضور وجوبا شرعيا.

و من الحقوق: إذا عطس تشمتته، وإذا مرض تعوده ، وتعفو عنه ، تقدم له النصيحة ، وتؤثره على نفسك ، وتذب عنه في غيبته ، وأن تكون سليم القلب عنه ، وتبر بقسمه، و معنى ذلك إذا أقسم على شيء فمن حقه عليك أن تحقق هذا الطلب مثل إذا أقسم أن تدخل عنده فحق عليك أن تبر بيمينه التي أقسم بها لأن هذا به تقدير له واحترام ومعرفة قدره

ومن أسباب التآلف الاجتماعي **التزاور** فالزيارة تذهب الوحشة وتخفف حدة التوتر بين الناس لما يحصل في الزيارة من تبادل الكلام الطيب والثناء الحسن ، فمن زار أخ له في الله فله أجر عظيم فهو يمشي في خرف الجنة

أيضا من أسباب التآلف الاجتماعي كفالة اليتيم ورعايته والإحسان إليه هذا لاشك انه من الآثار التي تؤدي إلى التآلف الاجتماعي وأيضا الإحسان إلى الأرملة والمسكين وسد حاجة المحتاج وغير ذلك من صور التعاون داخل المجتمع الإسلامي الذي أمر الله به كقاعدة عامة بين المؤمنين حيث قال الله تعالى: **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)**.

الوسيلة الرابعة: أن الإسلام دعا إلى الأخلاق الفاضلة لتقوية الروابط الاجتماعية

الأخلاق في الإسلام شيء عجيب جدا، فلها منزلة عظيمة ، لأن الدين الإسلامي هو الأخلاق لذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" إنما أداة حصر فكأنه عليه السلام يلخص رسالته في تنميم مكارم الأخلاق وذلك أن الأخلاق في الإسلام أخلاق شاملة لكل ممارسات الإنسان.

و لذلك امتدح الله نبيه عليه السلام وزكاه بخلقه فقال: (و إنك لعلی خلق عظیم) ولذلك عندما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه الصلاة والسلام قالت: " كان خلقه القرآن" أي أنه كان ترجمانا واقعيا وتطبيقيا للقرآن فما ورد في القرآن من حث على فضيلة فقد تقمصها النبي صلى الله عليه وسلم ونفذها في حياته وما ورد عن التحذير عن سيئة فقد تجنبها عليه الصلاة والسلام وقد أحسن المفكر الإسلامي سيد قطب رحمه الله حين عبر عن جيل الصحابة رضي الله عنهم -الجيل الفريد- وسماه جيل قرآني فريد فقال عن الصحابة رضي الله عنهم كانوا قرآنا يمشي على الأرض بمعنى أنهم يطبقون القرآن ويترجمونه ترجمة عملية في واقعهم.

لذلك فإن الأخلاق في الإسلام شأنها عظيم وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما من شيء أثقل من ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق فإن الله ليبغض الفاحش البذيء وأقرب الناس منزلة من الرسول الكريم عليه السلام أحاسنهم أخلاقا فدرجات الناس في قريتهم من النبي صلى الله عليه وسلم بحسب حسن أخلاقهم ولذلك نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع البر كله في حسن الخلق فقال: " البر حسن الخلق" ولذلك فإن حسن الخلق ذهب بخيري الدنيا والآخرة وصاحب الأخلاق الحسنة محبوب في الدنيا والآخرة وعند الملأ الأعلى وعند الله سبحانه

الأخلاق في الإسلام لها سمات ومواصفات مهمة جدا من أهمها

١. أن الأخلاق في الإسلام أخلاق مكتسبة ومنها ما هو جبلي لكن عندما نقول أنها مكتسبة معناها أن المرء يسعى في تحصيلها أي يمكن اكتسابها و تحصيلها فيستمدتها من المجتمع المحيط به من أهله أو أقاربه أو أصدقائه أو زملاء العمل وغيرهم أو يحاول هو أن يتخلق بها أما معنى جبلي أي مجبول عليها وهي جزء من فطرته فالأخلاق بالإسلام مكتسبة وقد تكون جبلية كما قال الرسول عليه السلام لأشج عبد القيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة" فقال له أشج عبد القيس: يا رسول الله تخلقت بهما أو جبلني الله عليهما؟ قال: " بل جبلك الله عليهما" فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب. فهي هنا جبليية و في الحديث الآخر سئل الأحنف بن القيس- وهو من المشهورين بالحلم- من أين تعلمت الحلم؟ فقال: تعلمته من قيس بن العاصم كان محتبيا في فناء داره-

يعني جالس جلسة احتباء وهي **ضم** الركبتين إلى الصدر إما باليدين أو برباط أو شيء- فجاهه الصريخ-أي المنادي الصائح- يخبره أن ابن أخيه قتل ابنه قال فواله ما حل حبوته وجيء بابن أخيه موثق فقال : حلوا وثاقه. ثم قال لابن أخيه: ما فعلت يا ابن أخي ؟ قتلت أخاك وأتكلت أمك وقطعت رحمك. ثم أمر أحد أبناءه وقال قم إلى مائة من الإبل فأعطها لأمك فإنها امرأة غريبة. فكان حلم الأحنف بن القيس مكتسبا تعلمه واكتسبه من قيس بن العاصم فلم يكن موجودا لديه بل اكتسبه.

٢. أن الأخلاق صفة راسخة في النفس لا يتكفها المرء تكلفا يتعامل بها مع الصغير والكبير مع الأمير والمأمور مع الغني والفقير فلا يتعامل بها لمناسبة معينة أو لمصلحة معينة فليست أخلاق تجارية ولكنها أخلاق يتفق بها مع الكل ويتعامل بها الناس جميعا على اختلافهم بكل الأحوال والظروف فهي صفة راسخة بالنفس مثل الصفات الخلقية مثل لون الجسم.

٣. الأخلاق في الإسلام يحافظ عليها حتى في أشد الظروف وأحلك الأحوال لا بد من الالتزام بها فمثلا الحلم يظهر ويبرز عند الاستفزاز و الاستثارة فلا يوصف الإنسان بالحلم ما لم يحدث من الوقائع ما يكشف حلمه ، لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " ، ومعنى الصرعة : أي القوي الذي يصرع الناس ، فهو ما صارع أحدا إلا صرعه ، ولكن الشديد هو الذي ينتصر على نفسه ويستطيع أن يحكم تصرفاته عند الغضب ، وقد أمر الله المؤمنين بالالتزام بالأخلاق حتى مع الأعداء وفي أصعب الظروف فقال الله سبحانه وتعالى: (ولا يجبر منكم أحد أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) فحتى لو صدوكم عن المسجد الحرام لا يحملكم بغضكم وكرهيتكم لهم أن تتجاوزوا وتتعدوا الحد في ذلك. ونجد أن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر جنوده وقادة جيشه بأن يغزوا ولا يغلوا ولا يغدروا ولا يقتلوا صبيا ولا امرأة إلى غير ذلك من التوجيهات في حال الغزو والشدة فالأخلاق يصطحبها المسلم في أحلك الأوقات و أشد المواقف خلاف ما عليه أصحاب الثقافات الأخرى مثل الثقافة الغربية الذين ينادون بشعارات سرعان ماتدوب وتتلاشى في المواقف في المحك وعند الاختبار كشعار "حقوق الإنسان و" الديمقراطية" وغيرها.

٤. أن العبد يلتزم بهذه الأخلاق تدينا وابتغاء لمرضاة الله سبحانه فهي جزء من عقيدته وجزء من دينه أن يلتزم بهذه الأخلاق ويكون وفيها بها.

*الأخلاق في الإسلام صنفها بعض الباحثين بحسب متعلقها إلى خمسة أصناف على النحو التالي:

١. الأخلاق الفردية المتعلقة بالفرد لوحدها.

٢. الأخلاق الأسرية المتعلقة بالأسرة.

٣. الأخلاق المتعلقة بالمجتمع.

٤. الأخلاق المتصلة بالله سبحانه والتعامل معه.

٥. الأخلاق المتعلقة بالنظام وإدارة الدولة.

وهو تقسيم اصطلاحي المقصود به تقريب الصورة كما هو موضح في الكتاب.

ومن مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام:

أولاً: الصدق:

والصدق عندما يطلق يتبادر إلى أذهاننا الصدق في حديث ولا شك أن الصدق في الحديث مهم جداً ومطلب، ولكن الصدق كصفة وكخلق في الإسلام شامل للصدق في الاعتقاد والصدق في الأقوال والصدق في أعمال الجوارح، فهو خلق متعلق بالقلب واللسان والجوارح.

ولذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر عدداً من صفات المؤمنين وأحوالهم قال: (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) ، والدليل على أن الصدق يشمل الأقوال والأفعال والاعتقاد قوله تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولو كن البر من امن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وأتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين و فى الرقاب وأقام الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك هم المتقون).

فتأمل هذه الصور الكثيرة من الاعتقاد والعبادة والأخلاق المختلفة، لاحظي كل ما مر ذكره فيه أشياء اعتقادية وأشياء نفسية وأشياء قولية وغيرها ، فالصادق هو الذي يصدق في هذه الأمور كلها ولذلك يقول الله عز وجل: (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)، يعني أن صفات هؤلاء هم الذين صدقوا ، ولذلك نقول أن الصدق هو التزام الحقيقة ظاهراً وباطناً.

فالصدق أشمل من الصدق في القول وان كان الصدق في القول مهم جداً والكذب المنافي للصدق كبيرة من كبائر الذنوب ، لكن متعلق الصدق ليس اللسان فقط وإنما أيضاً متعلق القلب والجوارح ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم مبيناً فضل الصدق ومنزلته في الإسلام : "أن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وان الكذب يهدي إلى الفجور وان الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً".

*والصدق هو الإخبار بالواقع والكذب هو الإخبار بخلاف الواقع هذا بالنسبة للسان وكذلك بالنسبة للجوارح إذا كانت جوارح الإنسان تصدق اعتقاده فهو صادق في عمله ذلك وإلا فهو كاذب كما هي حال المنافقين الذين تخالف أعمالهم معتقداتهم ولذلك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في صفات المنافقين قال: "أية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان".

*لذلك من صور الصدق: صدق حال الإنسان ظاهره صدق شخصية الإنسان ومواقفه ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه". فهو ليس صادقاً في شخصيته ولكنها شخصية متلونة متغيرة فهو يخرج للناس بشخصية لا تخبر عن واقعه الحقيقي وإنما هي خلاف الواقع الذي هو عليه ولذلك الصدق هو التزام الحقيقة والواقع هذا هو الصدق أما مخالفة الواقع فهذا هو الكذب وهو كما قلنا في الاعتقاد والقول والفعل بشكل عام ولذلك نجد أن الصدق له أثره الإيجابي على العبد بما يحصل له من البركة في ماله إذا صدق في بيعه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما" فالصدق سبب في بركة البيع ، أيضا من آثار الصدق راحة النفس ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الصدق طمأنينة". فهو المد إلى طمأنينة القلب وراحته وسعادته لان التزام الحقيقة يريح النفس ويطهر القلب بخلاف المراوغة والكذب والترويع الخيانة والخروج بخلاف الحقيقة فان هذا مقلق للنفس و مؤذي لها وماحق لبركة العمر .

*والصدق سبب في نيل رضوان الله وجنته وسبب في كسب ثقة الناس يعني إذا عرف بالصدق الناس تطمئن إليه وتثق فيه وتحسن التعامل معه.

*وهذا الخلق العظيم اتصف به النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فكان يعرف في مكة قبل الإسلام بالصادق الأمين وما جرب عليه الناس كذبا لذلك لما سأل هرقل أبا سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو يكذب في الحديث؟ قال: ما جربنا عليه كذبا فقال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله فيدعي انه أرسله ولم يرسله وان هذا علامة على صحة رسالته عليه الصلاة والسلام فهو كان معروفا بالصدق في المجتمع الجاهلي وكان متميزا بهذا ومعروفا به يشار إليه بهذه الصفة الحميدة.

*ومن النماذج المشرقة في تاريخ الإسلام في الصدق قصة كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك وابتلاه الله في الصدق ببلاء عظيم فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك وكان كعب بن مالك تخلف عنها وجاء المنافقون

يعتذرون إلى رسول الله كذبا والنبي صلى الله عليه وسلم يقبل عذرهم فلما أتته نظر إلي عليه الصلاة والسلام وتبسم تبسم المغضب ثم قال ما خلفك يا كعب قال فقلت فوالله يا رسول الله لو وقفت بين رجل غيرك من أهل الدنيا لخرجت منه بعذر ولكني لعلي أن أقول لك قولاً يفضحني الله عز وجل بعد ذلك و والله ما أقول لك إلا الصدق ما كنت... ولا أنشط مني يومئذ ولا جمعت راحلتين إلا يومئذ فما كان لي من عذر -يعني قال يا رسول الله أنا ما كان عندي عذر في تخلفي عن الغزو- قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما هذا فقد صدق" وأمر بإرجاء أمره حتى يقضي الله في شأنه ثم قال مثل مقالته رجلان من المسلمين هما هلال بن أمية و مرارة بن الربيع فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بعدم مكالمتهم لا يكلمهم الناس في المدينة يهجرهم الناس عقوبة لهم لتخلفهم عن الجهاد في سبيل الله فهجرهم الناس ولم يكلموهم وأصبحوا كالأشباح في المجتمع المدني وبعد أربعين ليلة أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يفارقوا أزواجهم قال نطلقهن يارسول الله قال: "لا ولكن فارقوهن ولا تقربوهن" فبلغ بهم الأمر مبلغاً شديداً كما وصف الله عز وجل: (حتى إذا خافتهم على الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم) اشتد عليهم الحال وصف هذا الحال الله الخبير العليم المطلع على ذخائر النفوس انه ضاقت عليهم الأرض كلها وضاقت أنفسهم وظنوا انه لا ملجأ من الله إلا إليه فتعلقوا بالله ودعوه وتضرعوا بين يديه فنزلت توبتهم ففرح النبي صلى الله عليه وسلم وفرح الصحابة بتوبة الله عز وجل على كعب وصاحبيه فكان من شكر نعمة الله على كعب أن نذر ألا يقول إلا صدقاً ما حيا في حياته كلها ولذلك عقب الله عز وجل على ذلك بقوله على هذا الحدث في كتابه: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).

فالصدق أمر مهم ويحتاج العبد أن يوطد نفسه ويروضها على الصدق ويصبر ويحتسب ما يأتيه نتيجة لصدقه في التعامل مع الناس وصدق اعتقاده وصدق حديثه اسأل الله تعالى أن يحفظ ألسنتنا من الكذب .

من مكارم الأخلاق التي جاء بها الإسلام:

ثانياً: الحياء:

الحياء كله خير كما أخبر النبي فقال: "الحياء لا يأتي إلا بخير".

والحياء : خلق يمنع من القبيح من القول والفعل ، خلق في النفس يمتنع به المرء مما يستقبح طبعاً أو شرعاً فصاحب الحياء يمتنع من كل قبيح سواء قبيح طبعاً أو قبيح شرعاً .

ورأى النبي رجلاً ينصح أخاه في الحياء و يعظه فيه ، فقال: " دعه فإن الحياء لا يأتي إلا بخير" فالحياء الذي يمتنع به المرء من فعل القبيح ومن قول القبيح ، سواء كان هذا مستقبح طبعاً أو شرعاً هو الذي يصدق عليه وصف الحياء الوارد في النصوص ذكر الثناء عليه وامتداح أهله ،

*والحياء شعبة من الإيمان وهو إيمان كله وهو كله خير وقد يرد على هذا سؤال فكيف يكون الحياء خير كله وقد يتمتع الإنسان عن بعض الأمور الخيرة حياء كأن يتمتع عن حضور حلقة علم حياء أو قد يتمتع من إنكار المنكر حياء مثلاً طالبة ترى زميلتها تلبس لباس فاضح أو تقول كلام غير لائق أو سلوك خاطئ لو قلنا لها لماذا لا تتصحينها قالت: استحي ! فكيف هذا الحياء منعها من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر والحياء لا يأتي إلا بخير ! نقول أن هذه الصورة ليست حياء وإنما خجل فيجب التفريق بين الحياء والخجل فالخجل مذموم و الحياء محمود ،والخجل هو بالحقيقة ضعف وانكسار وعجز يمنع من قول الحق، فيؤدي إلى السكوت عن الحق والمجاملة في الباطل ، فالذي يصرفه الحياء عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا خجل وليس حياء ، وإطلاق الحياء عليه عند بعض الناس هو من باب التجاوز بالعبارة والخطأ في الإطلاق ، والخجل ليس محموداً ولكن الحياء هو المحمود ، والخجل سمة ذميمة نتيجة لضعف النفس وانكسارها فيجامل الآخرين في ما لا يصح فيه المجاملة ، ويسكت عن المنكر أو يساير صاحب الخطأ ! هذا ليس حياء ، فالحياء كما عرفناه هو امتناع النفس عن القبيح سواء قبيح طبعاً أو قبيح شرعاً ، أما الامتناع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع عن النصيحة هو امتناع عن الخير وهو خجل مذموم ، فيجب التفريق بين الحياء والخجل ، والحياء زينة للمؤمن وهو سبب في دخول الجنة والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: " الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة " .

*ويقابل الحياء وبخالفه : الوقاحة والبذاء في القول أو الفعل وهو من صفات أهل النار فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: " الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء و الجفاء في النار " . فصاحب الحياء تجده محبوب للناس ، يرتاحون إليه ويطمئنون للتعامل معه ، أما صاحب البذاء والجفاء فتجده مبعوض ثقيل الدم ، يكره الناس التعامل معه ولا يطيقونه بالتعامل لسوءه وصفاقته ووقاحته في التعامل ، قد يوصف بعض الناس بأنه لا يستحي ويراد به أنه رجل صفيق وقح جريء لا يراعي ولا يحترم أحداً ، هذه من صفات أهل النار وللأسف أنها قد تطلق على بعض الناس من باب المدح بالجرأة ، والجرأة في مخالفة الأخلاق وعدم مراعاة الآخرين مذمومة وليست ممدوحة بل هي من البذاء والجفاء وهو من صفات أهل النار .

*وإذا كان الحياء خلقاً محموداً، وموجود بالمسلم بشكل عام فهو الخلق الرئيس بالنسبة للمرأة والمرأة تتميز بالحياء أكثر من الرجل فهو موجود في المرأة بشكل أخص وفي العذراء بشكل أكبر ، وقد كان الرسول عليه السلام أشد الناس حياءً وكان يوصف من حياءه الشديد بأنه أشد حياء من العذراء في خدرها ،لماذا؟ لأن المرأة أشد حياء من الرجل ، والعذراء من النساء أشد حياءً من عموم النساء ، و لكن للأسف قدم على الناس عدد من المؤثرات التي تسلب الحياء ، وجعلت

العذراء قليلة الحياء في بعض الأحيان فتجدها قد تجترئ في الخطاب والحديث واللباس المتبرج والخروج إلى الأسواق والتعامل مع الناس في مواقف في تصرفات في كلمات تشعر بأنها قد نزع منها الحياء أو قل ، فإذا كانت العذراء أشد الناس حياء أصبح حالها هكذا والله سبحانه يقول : (ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) وهذا لمن؟ لنساء النبي صلى الله عليه وسلم وأمّهات المؤمنين وهذا في الجيل القرآني الفريد-مجتمع الصحابة- فكيف هو الشأن بعد ذلك؟ إن من الحري بالمرأة أن تحرص على هذا الخلق والالتزام به والمحافظة عليه لأن أجمل ما في المرأة حياءها فإذا كانت فقدته فقد خسرت شيئاً كثيراً ، والحياء هو الذي يزين المرأة فتوصف به على وجه الثناء والمدح، وأجمل ما في المرأة حياؤها حيث كان الرسول عليه السلام يمدح بهذا وهو قائد الأمة فكان أشد حياء من العذراء في خدرها. إننا بحاجة إلى تنمية هذا الخلق وترويض النفس عليه ودفع كل ما يخالفه والابتعاد عن كل ما يبعد الحياء نسأل الله أن يرزقنا هذا الخلق الجميل..

ثالثاً: البشاشة وطلاقة الوجه:

وهذا من الأخلاق العظيمة العجيبة في الإسلام ، الإسلام الذي هو دين السلام ، دين الإحسان إلى الآخرين ، دين يجعل الابتسامة صدقة في ميزان العبد يوم القيامة فقال عليه السلام: "وتبسمك في وجه أخيك صدقة " ، ومن الصدقات أن تبقى أخاك بوجه طلق أو طليق ، هذا من الصدقات التي يبذلها المرء ببشاشة الوجه وطلاقته وإشراقه ، خلاف الوجه العيوس مقطب الجبين الذي إذا رأيته رأيت فيه الشؤم والغضب والكراهية ، فما ترتاح النفس لرؤيته نتيجة لمعصية الله ، نتيجة للطباع الغضبية السيئة.

ولذلك كان هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير التبسم وقال جرير بن عبد الله البجلي : " ما رأي رسول الله إلا تبسم في وجهي " ، هكذا كان خلق النبي عليه السلام البشاشة وطلاقة الوجه ، فقد كان عليه السلام بشوشاً إلا إذا عصي الله ، فالبشاشة تزول في حالة المنكر ليقوم الإنسان بدوره في الحث والنصيحة.

وهي صدقة يبذلها المرء من غير تكلفة ، وهي في الحقيقة مكلفة ! هي بالظاهر أنها غير مكلفة ولكن بالواقع أين النفس المستقرة المطمأنة التي يظهر أثر هذا الاستقرار والاطمئنان والسعادة القلبية ، يظهر أثرها على الجوارح على الوجه ، فيكون الوجه طلق بشوش والابتسامة مشرقة على الوجه فتجد كل من يلقي هذا الإنسان يرتاح إليه ويطمأن لما يراه من أثر السعادة الداخلية ، وإذا كان الإنسان صاحب مشاكل وبؤس ومعاناة تجد أثر هذا على وجهه ، فمن أسباب ذلك الإكثار من ذكر الله عز وجل يؤدي إلى نور بالوجه وإشراقه غير عادية تميز بها الذاكر لله عن الغافل ، والله تعالى يقول: (ومن أحرص من ذكرى فإن له معيشة ضحكاً ونحشه يوم القيامة أسمى) ، المعيشة الضحك التي يعيشها تظهر ملاحظتها وأثارها على قسماط وجهه ، فتجده مقطب الجبين عيوس ترى في وجهه الشؤم والغضب.

ومن نعيم أهل الجنة البشاشة وطلاقة الوجه كما قال تعالى: (ونزحنا ما هي صدورهم من حل إخواناً على سرر متقابلين) ، تصوري معي هؤلاء الذين يتقابلون في الجنة وليس في قلوبهم من غل ، لا شك أن قلوبهم قد أشرفت وأنارت وأضاءت بالبشر والسعادة والطلاقة ، لذلك قال الله عز وجل عنهم: (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة).

والبشارة التي هي الخبر السار إنما سميت بشارة لأنه يظهر أثر هذا الخبر على بشرة الوجه ، فلما يأتي له الخبر تجده يستنير و يفرح ، فيستضيء وجهه بالخبر السار ولذلك سمي بشارة لأن أثر هذا السرور والبشارة يظهر على بشرة وجهه.

فهذا من عظمة الإسلام أن التبسم وطلاقة الوجه من الصدقات التي يؤجر عليها العبد .

رابعاً: المداراة والتلطف بالآخرين:

المداراة: هي التلطف بالإنسان للحد من ضرره أو لإيصال الخير له.

والمداراة مأخوذة من الدرء بمعنى الدفع أو من المدارورة المجارة وهي بمعنى الالتفاف وعدم المباشرة ، فالمداراة هي التعامل بشكل غير مباشر وهي خلاف المداهنة .

فالمداهنة مذمومة لأنها من النفاق والمداراة محمودة ، **والمداهنة** هي المجاملة على الباطل ، المجاملة التي تدفع الإنسان للسكوت أو الإقرار على الباطل هذه مداهنة ، والله عز وجل يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام : (**ودوا لو تدمنن فيدهنون**) أي ود المشركون أن يجاملهم الرسول ويسكت عن باطلهم أو يقرهم على ما هم عليه من الكفر ، أما المداراة فهي التلطف بالإنسان لدفع ضرره أو لجلب الخير له وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله أمرني بمداراة الناس " .

وكان من خلقه عليه الصلاة والسلام المداراة ، ومن ذلك مداراته لأنس بن مالك الذي خدم الرسول صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فيقول أنس رضي الله عنه: " خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي: أف قط وما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟ " ، ليس معنى هذا أنه عليه السلام لم يكن يوجهه أنس بل كان يوجهه عليه السلام ولكن لم يكن يباشره مباشرة وإنما بأسلوب غير مباشر يفهمه أنس فينفذ ما يراد منه تنفيذاً ويتعد عن ما يراد منه الابتعاد عنه.

وقد كان النبي عليه السلام من تلتطفه وحسن مداراته أنه ما عاب طعاماً قط كان إذا اشتهاه أكله وإلا تركه ، فلم يكن يعيب الطعام ، أو إذا جاء الطعام ولم يشتهيئه ذمه سواء ذم الطعام من حيث هو ، أو ذم طريقة الطبخ أو ذم مستوى الطعومات فيه-تذوقه-كالمح وزيادته ونقصه وغيره ، وإنما كان عليه الصلاة والسلام من تلتطفه وحسن مداراته أنه إذا لم يشتهي الطعام لأي اعتبار من الاعتبارات تركه.

والمداراة مؤثرة في نفوس الآخرين ومعالجة لمشكلاتهم ، وهي تحتاج من المداري إلى القدرات التي يضبط بها نفسه ويروضها عند تعامله مع الآخرين.

ومن مداراة النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكره أنس بن مالك ، قال: "كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك - يعني أعطني من مال الله - فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعتاء . الأعراب فيهم جفاء وتربوا وتعودوا على الجفاء ، والنبي صلى الله عليه وسلم يؤلفهم على الإسلام فيدريهم لخيرهم وليس خوفاً منهم ، ولكن لإيصال الخير لهم حتى لا ينفروا من الدين . ولو فعل هذا الأعرابي ذلك مع ملك من ملوك الدنيا لأطار رأسه لأن هذا التصرف لا يحتمل ، لا يحتمله إلا الأنبياء وأتباع الأنبياء ، أما أهل السلطان والملك فإنهم لا يحتملون ذلك إلا من كان متبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم .

وكذلك من صور مداراته عليه السلام قصة الأعرابي الذي بال في المسجد ، فنهره الناس وأرادوا أن يوقعوا به فنهاهم وقال: لا تجرموه - أي لا تفجعوه - ودعوه - حتى يكمل بوله ، فلما انتهى الأعرابي أمر عليه السلام بذنوب أو بدلو من الماء فأريق على بوله ، ثم دعا الأعرابي وقال له: "إن هذه البيوت بنيت للصلاة وقراءة القرآن وذكر الله ولا يصلح فيها شيء من الأذى". لا حظ الأسلوب الرفيق الذي دعا به الأعرابي ، ولذلك عندما قام الأعرابي يصلي ويدعو قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد حجرت واسعاً" - فالله عز وجل يقول: (ورحمتي وسعت كل شيء) وأنت تقول ذلك! فحجرت واسعاً.

ومن مداراته عليه السلام ما كان يعطيه للمؤلفة قلوبهم من زعماء العرب ، فكان يعطيهم من الغنيمة ما لا يعطيه لأهل الإيمان وأهل الجهاد و الصدق من خلص من أصحابه ، فكان يعطي الأقرع بن حابس ويعطي عيينة بن حصن مع ضعف إيمانهم ولكن كان الرسول يريد أن يؤلف قلوبهم للإيمان ، فكان يعطيهم الإبل بين جبلين - يعني عشرات مئات الإبل - ويعطيهم الغنم بين جبلين في وادي مليء بالغنم ، كان عليه الصلاة والسلام يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وذلك ليؤلف قلوبهم.

أيضاً من مكارم الأخلاق:

خامساً: أخلاق أخرى دعا إليها الإسلام وأخلاق حذر منها:

هناك قيم إنسانية وأخلاق فاضلة دعا إليها الإسلام ، منها الأمانة والحلم والكرم والإيثار والإحسان وغيرها ، وفي مقابل ذلك حذر الإسلام ونهى عن كل خلق لئيم سيء ومن ذلك : السرقة والخيانة والشح والكبر وغيرها ، فكل من مقتضى الأمر بالأخلاق الحسنة الابتعاد عن الأخلاق السيئة فمثلاً الأمانة تقابل الخيانة ، والصدق يقابل الكذب ، والإيثار يقابل الأنانية والخ... .

من وسائل تقوية الروابط الاجتماعية:

الوسيلة الخامسة: تشريع الإسلام للتكافل الاجتماعي تقوية للروابط:

ومن هذه التشريعات: التشريعات الواجبة ومنها :

١. تشريع فريضة الزكاة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: " فأعلمهم

"

والزكاة هي مال مخصوص يؤخذ من الأغنياء ويعطى للفقراء.

ومن فوائدها وغاياتها: تطهير نفس الغني من الشح والمغالاة في حب المال ، تطهير نفس الفقير من الحسد والتطلع إلى ما في أيدي الناس ، تحد من انتشار الجرائم لأنها توفر للفقير المال الذي يحتاجه فلا يضطر للسرقة ، ولذلك قال الله عز وجل: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) .

٢. تشريع زكاة الفطر ، فهي واجبة على كل مسلم قادر ، ووقتها قبل العيد بيوم أو يومين ، وقد شرعت زكاة الفطرة لإدخال الفرح والسرور على الفقراء والمحتاجين ، وطهره للصائم ، تلافياً لأي تصرف قد ينقص أجر صومه .

٣. ذبح الهدي في الحج والأضحية ، والنذور ، والكفارات وغيرها من التشريعات الواجبة.

أيضاً: من التشريعات :

تشريع الصدقات التطوعية:

ولها صور كثيرة ، حيث قسمه العلماء إلى أنواع منها:

١. **الصدقة النافلة المطلقة** : يجوز أن تكون نقدية أو عينية كطعام أو كساء وغيرها.

٢. **الصدقة الجارية**: وهي الوقف ومعناه : تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة أي التنازل عن ملكية ذات المال لله تعالى ، من أجل أن ينتفع به الناس ، مثل وقف المساجد ، حفر الآبار ، وقف جهاز تغسيل الكلى وغيره الكثير ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " ، فالوقف أجره عظيم وقد ورد أنه ما من أحد من الصحابة كان ذو جده - أي غنى - إلا أوقف .

٣. **الوصية**: وهي صدقة معلقه بموته ، فهي تبرعات مالية مضافة إلى ما بعد الموت ، تُصرف لأصحابها بعد وفاء الديون مما لا يزيد عن ثلث التركة حتى يستدرك بها الإنسان ما فاتته من أعمال الخير والبر ، وإن زادت الوصية عن الثلث يرد للورثة ما زاد.

من وسائل تقوية الروابط الاجتماعية:

الوسيلة السادسة: دعوة الإسلام إلى الحوار والجدال والتي هي أحسن:

الإسلام دين الحوار لذلك جاءت الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للبشر جميعا بل لكل الثقلين كما قال الله سبحانه (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقال مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم: (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) ، فالنبي صلى الله عليه وسلم بعث للعرب والعجم ، للأبيض والأسود كما قاله عليه السلام في خصائصه: " وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث للناس عامة" فهذه من خصائص النبي علي الصلاة والسلام أنه بعث للناس كافة وقال النبي عليه الصلاة والسلام والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " ، ولذلك دعوة النبي صلى الله عليه وسلم دعوة عامة لكل الناس فكلهم مخاطبين بهذه الدعوة ، ويجب على المسلمين أن يوصلوا إليهم دعوة الإسلام فهي مسئولية النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: (يا أيها الرسول بلغ مما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغته رسالته) ، فبلغ النبي عليه السلام الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وورث هذه المسئولية وهذه الأمانة إلى من بعده من أصحابه

الكرام رضوان الله عليهم فأدوا الأمانة وبلغوا رسالته عليه الصلاة والسلام وهكذا أتباع النبي صلى الله عليه وسلم يبلغون الرسالة، وهي مسئوليتهم أن يبلغوا هذه الرسالة، ولذلك يقول الله عز وجل لنبيه: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) ، فالرسول عليه السلام ومن اتبعه يدعون إلى الله على بصيرة وعلم ولذلك فهي مسئولية من جاء بعده من المسلمين أن يبلغوا الرسالة للناس كافة فليست خاصة ببلد دون بلد ولا بجنس دون جنس ولا بأهل لغة دون أهل لغة أخرى وإنما هي شاملة للبشر جميعا .

*ومن أهم وسائل تبليغ الدين ونشره : الحوار - الحوار كوسيلة لإظهار الحق وبيانه وإقناع الناس به ودعوتهم إلى اتباعه - ولذلك قال الله جل جلاله: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) ، فالمجادلة بالتي هي أحسن هي من وسائل الدعوة التي أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم، ولذلك فالهدف من سلوك مسلك الحوار هو التوصل إلى بيان الحق وإظهاره الذي هو الإسلام وصحة رسالة النبي، فليس المقصود بالحوار أسلوب مترفاً في الحديث أو العرض ، وليس المقصود به الجدل العقيم ، وليس المقصود به الانتصار على الخصم أو المخالف ، وليس المقصود به إظهار المقدر و العلم وإنما المقصود الأساسي من الحوار هو بيان الحق وإظهاره فهذا هو الهدف الرئيس من الحوار .

*وقد مارس النبي صلى الله عليه وسلم الحوار في دعوته عليه السلام ، مارس الحوار مع المشركين المخالفين ، ومارس الحوار مع المسلمين من أصحابه ومن استجاب لدعوته عليه السلام ، فمن صور الحوار ما حصل بين النجاشي ملك الحبشة وبين جعفر بن أبي طالب وهو الناطق باسم المهاجرين الأولين الذين هاجروا إلى الحبشة ، لما سألهم النجاشي عن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، فشرح له جعفر بن أبي طالب كيف كانت حالهم في الجاهلية وكيف بعث النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ، وإلى أي شيء يدعوهم من الصدق والأمانة والوفاء وتوحيد الله سبحانه ونبذ الشرك ..إلى غير ذلك مما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ، وسألهم النجاشي عن ما يقولون في عيسى بن مريم وما يقولون عن أمه عليه السلام ، فقرأ عليه آيات من سورة مريم فتأثر النجاشي ودمعت عيناه وقال: ما تقوله الآن وما جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة.

وكذلك نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم له أخبار كثيرة في الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن ومنها: ما رواه أبو أمامة قال: إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه- (أي ما شأنك؟ وما وراءك؟ يعني كيف تطلب مثل هذا الطلب! وهذه المعصية!) -فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ادنه مني"، فدنا منه قريباً فجلس فقال له:أتحبه لأمك؟ فقال: لا والله جعلني الله فداءك ، قال: "ولا الناس يحبونه

لأمهاتهم " ، قال: "أفتحبه لابنتك؟" فقال: لا والله جعلني الله فداك ، قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم" ، قال: "أفتحبه لأختك؟" فقال: لا والله جعلني الله فداك ، قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم" ، قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم" ، قال: "أفتحبه لخالتك؟" فقال: لا والله جعلني الله فداك ، قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم" ، قال: فوضع النبي عليه السلام يده على صدره وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء."

هذا نموذج عجيب مع الرسول عليه السلام الذي يتنزل عليه الوحي وهو إمام الأمة وقائدها ومع هذا يستقبل هذا الشاب بكل رفق ولطف ويحاوره حول قضية خطيرة ومعلومة من الدين بالضرورة تحريم الزنا ، ومع ذلك يبين له أن هذا الأمر المشين كما أنه لا يرضاه لنفسه فالناس لا يرضونه لأنفسهم ، المقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم استطاع أن يصحح هذه النظرة لدى الشاب بالأسلوب الحسن الرفيق ، ونماذج الحوار كثيرة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية.

حقيقة الحوار وأقسامه ولوازمه:

الحوار مأخوذ من الحور وهو الرجوع ، والحوار هو مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر ، والحوار قد يأتي بمعنى الجدل والمناظرة وإن كان الجدل يغلب إطلاقه على المحاورة بعنف وشدة ولذلك لما ورد لفظ الجدل قيد بالحسنى فهو ليس ممدوحاً بإطلاق كما قال الله عز وجل: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) ،

والحوار أو المحاورة أو الجدل أو المجادلة أو المناظرة كلها تأتي بمعنى واحد ، والمقصود منها مراجعة الكلام بين طرفين فأكثر ، ومن ذلك قوله تعالى: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله) . وفي الاصطلاح: تعريف الجدل والحوار والمناظرة: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة ، يعني أن كل واحد من المحاورين يسعى في دفع حجة أو شبهة خصمه فيسعى للإجابة عليها ولردها ولنقضها حتى يصح قوله.

*الحوار ينقسم إلى قسمين : قسم ممدوح ، وقسم مذموم.

فالممدوح: هو ما يوصل إلى الحق بأسلوب صحيح مناسب.

والمذموم: هو الذي يراد منه المجادلة وعدم الوصول إلى الحق بحيث يراد به الظهور على الخصم والعلو عليه والالتصاق دون أن يهدف صاحبه إلى ظهور الحق والوصول إليه ، ودون أن يسلك صاحبه المسلك الصحيح في الحوار والمجادلة ، ولذلك نجد أن الجدل في القرآن الكريم قيد بالحسنى ، فالأصل بالجدل أنه مذموم إلا إذا كان بالحسنى فقال تعالى: (

وجادلهم بالتي هي أحسن) وقال: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)، ولذلك شنع النبي صلى الله عليه وسلم على الجدل العقيم المذموم الذي لا يرد منه الوصول إلى حق فقال عليه السلام: "إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم" والمقصود بالألد الخصم هو شديد الخصومة والجدل من غير طلب للحق.

والحوار في الإسلام شروط وآداب ولوازم ومتطلبات نجملها فيما يلي:

١. **الإيمان العميق** بالفكرة التي يحاور حولها لأن إذا ما كان لديه يقين بالفكرة وإيمان حقيقي بها فإنه لا يمكن أن ينجح في إقناع الطرف الثاني بها ولذلك يقول الله: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) ، لأن من يأمر الناس بالبر يغلب عليه إذا كان عنده إيمان بأهمية الالتزام بهذا البر وتنفيذه فأول ما يظهر أنه هو يكون منفذاً له وسابقاً إليه نتيجة لإيمانه العميق بهذا المبدأ الذي يدعو إليه ، وأيضاً هذا الإيمان العميق يقتضي عدم تردده بالشبه التي تلقى إليه لأنه بالضرورة أن الطرف الآخر سيشير حول فكرة تلك الشبهات ويشكك فيها ، فإذا لم يكن لديك إيمان عميق بالفكرة فإن هذه الشبهات و ما يثيره من إشكالات قد يجعلك أنت تشك وتتردد في قناعاتك التي تحملها.
٢. **العلم والعلم** إذا أطلقناه في مسألة الحوار كشرط من شروطه أو أدب من آدابه فإننا نقصد العلم بثلاثة أشياء:

١. **المسألة الأولى: العلم بمادة الحوار** وهي المسألة التي تريد الحوار عنها ، فما يصلح أن تدخل في مسألة وأنت جاهل بها ، فتتحدث بما لا تعلم! فلا بد من العلم بالمسألة التي تحاور عنها مثلاً لو أردت أن تحاور عن مسألة المرأة وتكريم الإسلام لها فلا بد أن تكون عالم بهذه المسألة ، فاهم لأبعاد قضية المرأة.

٢. **المسألة الثانية: العلم بفن الحوار** لأن الإنسان قد يكون عالم ولديه حصيلة كبيرة جداً من العلم بالمسألة ، ولكن الحوار إضافة إلى العلم هو فن ، فقد يكون عالم ولكنه لا يستطيع أن يوصل هذا العلم إلى الآخرين ليس لديه أسلوب للإقناع وإيصال ما لديه من الحق بالأسلوب المناسب ولذلك قد يهزم في المحاورة لا لقلة علمه ولا لأن ما يحمله باطل ، ولكن لضعفه في أسلوب الحوار وفن إيصال المعلومة للآخرين.

٣. **المسألة الثالثة: العلم بحال المحاور** فلا بد أن تعرف حال الطرف الآخر بالحوار وما هي مرجعيته؟ وما هي الأشياء التي يؤمن بها؟ فهل يؤمن بالقرآن حتى تستدل عليه بالقرآن ، فإذا كان لا يؤمن بالقرآن تستدل معه بالعقل و

تستعمل معه أسلوب العقل بالناظرة وأسلوب المنطق ، فمثلا لو كان ملحد لا يؤمن بالله تستدل معه بالمرجعية التي يؤمن بها كالعقل لا بالقرآن الذي لا يؤمن به الخصم! ، ويذكر أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله كان في موعد لمناظرة ملحد لا يؤمن بالله فتأخر عليه فلما جاء بعد ذلك ، سأله الملحد عن سبب تأخره ، فقال له أني تأخرت لأني رأيت عجباً ، كنت أقف على شط النهر-وكانت المناظرة خلف النهر من الجهة الأخرى وكان ذلك ببغداد في العراق ويفصل بينهم النهر - فقال له أبو حنيفة أنه كان واقف على طرف النهر ينتظر سفينة تنقله للطرف الآخر فرأيت عجباً ، فقال له الملحد: ماذا رأيت؟ فقال: رأيت الغابة تسقط أشجارها وتحت نفسها وتصف بجوار بعضها ثم تأتي مسامير وتدق مكانها حتى صارت سفينة ثم جاءت بضائع وركبت هذه السفينة ودخلت النهر ، فتعجبت من المشهد وجلست أتأمل فيه فهذا هو الذي أخرني عليك ، فقال الملحد مستحيل هذا الكلام لا يمكن ! فقال له : لماذا؟ قال يعني كيف سفينة تصنع نفسها دون أحد يصنعها قال: نعم ما الذي يمنع! فقال: مستحيل لا يمكن أن يكون! فقال أبو حنيفة: كيف يكون مستحيلاً وأنت ترى هذا الكون كله من غير صانع ! فافتتحت الملحد وحجه أبو حنيفة ، ورجع عن إنكار وجود الله سبحانه ، فهذا نموذج على أنه لا بد أن تعرف حال المحاور وما هي الأشياء التي يؤمن بها؟ والمرجعية؟ وما هي الإشكالات التي جعلته يقول بهذا القول الذي تريد أن تحاوره حوله.

*والعلم عموماً هو من لوازم الجدل والحوار ومتطلباته.

٣. من لوازم الحوار سرعة البديهة ، فيكون سريع الفهم لحجة الخصم وسريع في استحضار الرد عليها لأن الخصم في الحوار ما يملك للتفكير والبحث والمراجعة ، فيحتاج أن تكون سريع البديهة وعندك فن الحوار والناظرة وهذا من العلم الذي يحتاج إليه المناظر.

٤. التزام الهدوء والسكينة والبعد عن الانفعال وألفاظ التجريح التي تنفر المحاور ، لأنه إذا كنت تحاور وأنت تلقي الشتائم يميناً وشمالاً فالطرف الآخر لا يمكن أن يقبل منك ، حتى المشاهد لك لا يقتنع بأسلوبك وطريقتك ولا يحترم طرحك لأنه تم بطريقة خاطئة وهذا الذي وجه الله إليه نبيه عليه السلام فقال: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) ، فمقتضى المجادلة بالتي هي أحسن : أن تكون بأسلوب هادئ رقيق حسن لا يستفز المحاور ويستثيره لعدم قبوله الحق الذي معك.

٥. أن يكون الهدف والنية هو طلب الوصول إلى الحق ، وهذه النية هي من أسباب النجاح في الحوار والمجادلة ، ولذلك نجد أن الله سبحانه اشترط في الحكمين هذا القصد فقال: (فابعثوا حكماً من أهلهم وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاً يوفق الله بينهما) ، يعني عند اختصام الزوجين إذا كان قصدهم الخير والوصول إلى الصلح فسيوفقهم الله

للوصول إلى إصلاح ذات البين ، والله سبحانه وتعالى يأمر المسلمين بإصلاح النية والقصد لأنها - أي صلاح القصد والنية- سبب في حصول المقصود بشكل عام ، ولذلك فإن المحاور لا بد يكون هدفه من الحوار هو إيصال الحق للطرف الآخر وإقناعه لما في ذلك من الأجر والثواب في نشر الحق ودعوة الناس إليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم".

٦. **استقامة سلوك المحاور وتطبيقه للمسائل التي يؤمن بها ، فمثلا لو جاءت فتاة متبرجة تتصح بالحجاب الشرعي!**
صحيح أن ما تقوله حقاً لكن صعب أن تتقبل النفس منها ذلك وهي أول المخالفين له ، فاستقامة سلوك المرء مهم جداً وإن كنا لا نقول بأنه لا يدعو إلي الحق إلا من طبقه لا قد يدعو إليه وهو لم يطبقه ، لكن القبول والتأثير يكون لمن يطبق ذلك مثل لو يأتي مدخن إلى طبيب ليتعالج من التدخين ، والطبيب ينصحه بترك التدخين بالتدريج والابتعاد عن الأماكن التي بها مدخنين وغيرها من النصائح ثم يخرج الطبيب سيجارته ويدخن! فيكون بذلك هدم كل توجيهاته التي نصح بها ذلك المدخن! ، قال الله عن شعيب عليه السلام: (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنماكم منه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) فيقول أنه لا يريد أن ينههم عن شيء ويفعله-أي يفعل خلاف ما أدعوكم إليه- لأن قصده الإصلاح بحسب الاستطاعة فمراده هو تحقيق الصلاح في المجتمع. وهذا الأمر مهم للقبول من الناس والتأثير فيهم ، فالدعوة بالقوة بليغة التأثير من غير أن يتحدث المرء فمثلا التجار المسلمين الذين كانوا ينتقلون في الديار فتحوا البلاد بالإسلام من غير جهاد بل ومن غير دعوة وذلك بسبب تخلفهم بالإسلام فأثروا على المجتمعات ، فمثلا دخل الإسلام في اندونيسيا عن طريق التجار المسلمين.

٧. **حسن الظن بالطرف الآخر واحترامه يعني إشعاره بثقة المحاور بأنه ينشد الحق و سيقبل الحق حين يستبين له**
مما ينشئه لقبول الحق فحينما تشعر الطرف الآخر بثقتك بأنه ينشد الحق وأنه إذا استبان له الحق فسيتبعه ، فأنت تعطيه أرضية لقبول الحق لأنك أحسنت به الظن وأعطيته الثقة وأشعرته بتقاولك واطمئنانك بأنه لو استبان الحق فلا يمكن أن يرفضه ، لأن سوء الظن بالطرف الآخر أصلا محبط لك أنت ، فلا يكون لديك الأمل الذي يدفعك إلى الحرص والبيان والإيضاح والتلطف بالطرف الآخر ، فأنت فقط تريد أن تكون المنتصر ولا تطمح في هدايته واستقامته وهذه تشكل مشكلة ، لذلك يقول الله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) ، و تقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم" يعني نضع الناس في مواضعهم فالرجل المكرم المحترم في قومه لا بد أن نعطيه منزلته وقدره من الاحترام والتقدير حتى يكون لذلك الأثر في نفسه كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع عدي بن حاتم رضي الله عنه لما دعاه إلى بيته ورمى إليه وسادته لينكأ عليها وهذا من إكرام النبي له ثم حاوره وتلطف به.

أمور يجدر الإشارة إليها

* ما يقع أدوات الحوار في القنوات الفضائية وما يحصل فيها من محاوراة قد تكون سلبية ، وذلك لأن برامج الحوار في القنوات الفضائية أحياناً يمثل الحق فيها شخص ضعيف ، ليس لديه إمكانيات ومهارات في الحوار أو ليس لديه علم أو يفقد كثير من الخصائص المطلوبة ، فيظهر هذا الإنسان الضعيف الحق في صورة الضعيف ويظهر الباطل في صورة القوة فتكون نتيجة المحاوراة والمناظرة انتصار الباطل ، وهذه مشكلة كبيرة جداً لأن المشاهد أحياناً لا يميز بين الحق والباطل ، وإنما يؤثر فيه الطرح الموجود وهذا أمر ينبغي الحذر منه والتنبه إليه.

* أيضاً من الأمور التي تحذر في المناظرات أن المناظرات أحياناً تثير شبه فتعلق بالقلب فيصعب انتزاعها من القلب ، ولذلك الأفضل للمرء أن يبتعد عن إثارة الشبهات أو تلقفها ، لأن القلب مثل الإسفنج قد يتلقف بعض الشبه ولا يتوفر لدى هذا الشخص العلم الذي يؤهل لنزع هذه الشبه من نفسه.

* أيضاً من الملاحظ أن بعض هذه المناظرات تفتقد لحسن القصد ، فنجد المحاور يحاول أن يظهر على خصمه وينتصر عليه ، وأن يظهر خصمه باطل وهو صاحب حق بحيث كل طرف لو استبان له الحق لم يكن بوسع الرجوع إليه لأنه ماذا سيقول الناس عنه؟ أنه رجع عن رأيه! فالنفوس قد لا تتقبل هذا بشكل سهل بل يشق عليها ويصعب الوفاء بمتطلبات الرجوع إلى الحق ، لأن ظهور ذلك على العلن في البرامج فيها نوع من التحدي والاستفزاز وهذا يذكرنا بالنوع الثاني للحوار وهو الجدل المذموم العقيم الذي لا يراد منه الوصول إلى حق.

وفي ختام حديثي عن الحوار نشير إلى أن الحوار نستخدمه جميعاً وبشكل مكثف يومياً ، لكن دون أن نسميه حوار ودون أن نفهم دلالاته على هذا المعنى فمثلاً لو رجعت من الجامعة وأخبرتكم أمك أن لا تنامي فسألتها عن السبب وأخبرتكم حتى لا تفوتك صلاة العصر فهذا حوار ، وهكذا نمارس الحوار مع أهلينا وأقاربنا وأصدقائنا ومع الناس ، فهو جزء من حياة الإنسان ولكن لا بد أن يعود الإنسان نفسه على سلوك آداب الحوار وشروطه..

أهمية الأسرة ومكانتها في الإسلام

الأسرة في تاريخ البشرية بدأت من آدم -عليه السلام ، والله سبحانه اختار هذا الجنس من المخلوقات ليكرمه وليوكل إليه مهام عظيمة وشريفة ، فبدأت الإنسانية من آدم عليه السلام أبو البشر ، ثم خلق الله منه زوجه حواء ، وبدأت من آدم وحواء أول أسرة في تاريخ البشرية فيقول الله عز وجل : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منهما زوجها ليسكن إليهما) ويقول : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) ، والآيات في ذكر قصة خلق آدم وخلق حواء منه وبدء البشرية كثيرة في القرآن الكريم .

واقترضت سنة الله سبحانه وتعالى وحكمته في الخلق : أن يكون الخلق قائماً على الزوجية -أي التزاوج- فقال تعالى : (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) ، فالتزاوج في الخلق سنة ربانية من سنن الله تعالى ، ولذلك فإن المسلم يدرك هذه الحقيقة في بدء البشرية بشكل يقيني واضح لا تردد فيه بخلاف المناهج الأخرى ، فهناك مثلاً نظرية النشوء والارتقاء التي يقول فيها داروين بأن أصل الإنسان مخلوق آخر ثم تطور ليبلغ هذا المستوى ، وقال أن أصل الإنسان قرد ثم تطور في الخلقة حتى صار بهذا الشكل ، والله سبحانه وتعالى يخبرنا وهو العليم الخبير بأن خلق آدم بيده ثم خلق منه حواء ثم بث منهما المجتمع البشري ، ويقوا تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

ولذلك لما اقتضت حكمته الله التزاوج والتناسل جعل هناك ميلاً فطرياً بين زوجي كل جنس ، وذلك لحكمته في بقاء النوع البشري ، واستمراره للقيام بوظيفته التي أناطها الله له وهي الخلافة في الأرض حيث يقول سبحانه : (إني جاعل في الأرض خليفة) ، وهو يقول ذلك للملائكة لما خلق آدم وتعجبوا من هذا الخلق وما سببه فقال تعالى : (إني جاعل في الأرض خليفة) .

لذلك فإن الأسرة هي اللبنة الأولى لبناء المجتمع ، وأول أسرة في تاريخ البشرية هي أسرة آدم وحواء عليهما السلام ، ولذلك نجد أن الإسلام عني بتكوين الأسرة والاهتمام بها ، وجعل لها من المكانة الكبيرة ، وشرع من التشريعات والضوابط ما يحفظ هذه الأسرة ويحميها من المؤثرات .

تعريف الأسرة:

مأخوذ من الأسر ، والأسر هي جمع أسرة وهي الدرع الحصينة ، فالدرع الحصينة يطلق عليها في اللغة بالأسر ، لأن الإنسان يتقوى بعشيرته ورهطه كما يتقوى الإنسان بالدرع الحصينة التي يحتمي بها ، فلذلك تعريف الأسرة: هي عشيرة الإنسان ورهطه الأذنون القريبون منه وذلك لأنه يتقوى بهم كما يتقوى المرء بالدرع الحصينة.

أما مفهوم الأسرة في الإسلام: فيشمل الزوجين والأولاد وفروعهم كما يشمل الأصول من الآباء والأمهات والأجداد والجدات .

ما يشير إلى أهمية الأسرة في الإسلام

لقد عني الإسلام بتكوين الأسرة عناية كبيرة ، ووضع لها من التشريعات ما يضبطها ويحفظها ومن أول ذلك :

١. أن الله عز وجل ربط بين أحكام الأسرة وبين العقيدة والإيمان ، فربط توحيد الله ببر الوالدين والإحسان إليهما مما يشير إلى عظم وأهمية الأسرة إذ أنها تأتي في المرتبة الثانية بعد العقيدة فنجد أن الله سبحانه يقول: (**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً**) ، فبدأ بتوحيد الله وثنى ببر الوالدين والإحسان إليهما مما يشير إلى أهمية الأسرة في الإسلام .

٢. أن الأسرة يكون بها تحقيق النمو الجسدي والعاطفي وذلك بإشباع النزعات الفطرية والميول الغريزية بطريقة شرعية ، فانه سبحانه جعل في النفس البشرية غرائز وميول ، وهذه الغرائز والميول لا بد من ضبطها وتوجيهها ، فجعل سبحانه الزواج -الذي منه تتكون الأسرة- هو السياج والغطاء الشرعي لتحقيق النمو الجسدي والعاطفي إشباع النزعات والغرائز الفطرية ، وجعل ذلك بطبيعة الإسلام من الوسطية والاعتدال ، فالإسلام لا يكبت هذه الغرائز ويمنع منها كما تفعل النصرانية المحرفة التي تدعو إلى التبتل والانقطاع وعدم النكاح ، كما أن الإسلام لا يترك لهذه الغرائز الانطلاق والإباحية من غير ضوابط ، بل ضبط ذلك من خلال قنوات شرعية منضبطة تحقق وتستجيب لغريزة الإسلام ولكنها لا تجعلها منطلقة بل تضبطها.

٣. أن في الأسرة تحقيق السكن النفسي والطمأنينة فقال تعالى: (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها**) وجعل بينكم مودة ورحمة) ، فالزواج ليس عقداً تجارياً كما في المؤسسات والمشاريع ، ولكنه عقد عظيم يتحقق به السكن النفسي والطمأنينة والاستقرار ، والله جعل في النفس البشرية ما يحقق به هذا المعنى ، فجعل بين الزوجين مودة ورحمة وهذا هو الأصل ، الأصل أن الزوج يسكن عند زوجته ويجد عندها الطمأنينة والاستقرار والراحة والسعادة ، ويجد في قلبه مودة جعلها الله عز وجل لزوجه ، هذا هو الأصل وقد تكون هناك حالات شاذة يحصل فيها الكراهية بين الزوجين لأسباب متعددة.

٤. الأسرة هي الطريق الوحيد لنمو المجتمع وتكاثره وبقاء النوع الإنساني بطريقة شرعية ، فهي الطريق الوحيد لإنجاب الأولاد الشرعيين ، وهي الطريق الوحيد لتحقيق عاطفة الأبوة والبنوة وحفظ الأنساب.

٥. أيضاً تعتبر الأسرة معمل صغير لأعداد الطاقات وتنمية المهارات وإبرازها ، فالأسرة كمؤسسة للتدريب على تحمل المسؤوليات وتنمية المهارات فهي تتكون من الزوج والزوجة والأبناء والبنات ، ولكل دوره الذي يؤديه ، ولكل مهمته التي يناط بها ، ولذلك تكون مجتمع صغير في أداء المسؤوليات وتوزيع المهام ، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم مبيناً هذا المعنى : "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.. والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيته ، والعبء راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته". فلاحظي توزع المهام والمسؤوليات على أفراد الأسرة وهذا لا شك أن له أثر كبير في تنمية المهارات وإبراز الطاقات لدى الأفراد ، وكثير من المتميزين في المجتمع من الإداريين و أصحاب المهارات المتعددة وغيرهم ، إنما اكتشفت مهاراتهم في البداية من خلال الأسرة ، ثم بعد ذلك قد تسعى الأسرة لتنمية هذه المهارة في الفرد فتبرز الطاقات ويتجاوز نفعها وتأثيرها من الأسرة الصغيرة إلى المجتمع الكبير.

٦. تعد الأسرة في الإسلام اللبنة الأولى لبناء المجتمع ، فالمجتمع يتكون من مجموعة من أسر.

هذا هو حال الأسر في الإسلام التي تقوم على العقد الشرعي والميثاق الغليظ الذي أمر الله سبحانه به ، بخلاف العلاقة الغير شرعية بين الرجل والمرأة فإنها لا تليق بالكرامة الإنسانية ولا تحقق السكن والطمأنينة والهدوء والاستقرار الذي أمر الله به ، كما أنه لا يمكن أن يترتب على هذه العلاقة المحرمة إنجاب الأولاد وتحمل المسؤوليات والتبعات ، ولذلك نجد أن نتاج وثمار هذه العلاقة المحرمة ثمار مرّّة على من قام بهذه العلاقة وعلى المجتمع كله لأنه إن حصل نتاج فإنهم يعدون من اللقطاء الذين يأوون إلى دور مخصصة ، وهذا اللقيط الذي لا يعرف أمه ولا أباه ينشأ ويشب ساخطاً على مجتمعه ساعياً للانتقام منه ، فنجد أن الدراسات في الجريمة وأسبابها تؤكد بنسبة عالية أن من أسباب الجريمة الجو الذي نشأ به الأولاد سواء كان ذلك بسبب أن الولد عاش بعيداً عن أبيه وأمّه أو لعدم معرفته بهما أو عاش في جو فراق أبيه عن أمه بطلاق وغيره. وإذا أطلقنا الولد فإننا نقصد البنين والبنات لأن الولد يطلق على الذكر والأنثى ، أما إذا أردت التعبير عن الذكر فتقول الابن ، وإذا أردت التعبير عن الأنثى فتقول البنت.

مكانة المرأة في الإسلام وعلاقتها بالمرأة في المجتمعات الأخرى

في مقدمة هذا الموضوع لا بد أن نشير إلى أمر مهم وهو أن المسلم على يقين بما هو عليه من الحق ليس في شك من أمره، لأن المسلم لا يكون مسلماً إلا إذا استيقن يقيناً لا يقبل الشك أن هذا الإسلام هو الحق، وشهد شهادة أن لا إله إلا الله بيقين دون شك، وإلا فإن هذه الشهادة لا قيمة لها إذا كان متردداً فيها. ولذلك فإن المسلم والمسلمة حينما يلتزم بالإسلام، فهو يأخذه عن يقين وطمأنينة أن هذا هو الحق وأن تشريعاته هي الهدى لا شك في ذلك ولا ريب.

وحيثما نتحدث عن تكريم الإسلام للمرأة لا نتحدث عن هذا لنقنع المرأة المسلمة بالإسلام، فهي أصلاً ما كانت ولا صارت ولا يمكن أن تكون امرأة مسلمة إلا بعد أن استيقنت بأن الإسلام هو الحق وأن الإسلام هو الهدى، وكذلك حينما نتحدث عن المرأة في الأمم الأخرى في الديانات والمناهج الأخرى ونبين المعاناة التي كانت تعانيها لا نريد فقط أن نقول بأن الدين الإسلامي هو الحق ونؤكد هذا للمرأة المسلمة لا، نحن عندنا يقين بأن ما نحن عليه هو الحق، وهذا الإسلام رضىه الله عز وجل لنا واختاره لنا وهو سبحانه وتعالى أعلم بنا وبما يصلحنا، فيكفيني أن أعرف أن هذه التشريعات من عند الله فهذا بحد ذاته كافي للطمئنان واليقين والارتياح لهذا الحكم، فهذه القضية الأولى أن المرأة المسلمة عندها يقين بهذا الحق والهدى، فليست في شك من أمرها، ولكننا نذكر هذا على سبيل توضيح الصورة والرد على الشبهات التي تثار، وإلا فالمرأة المسلمة مطلوب منها التسليم والانقياد لله سبحانه وتعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً). فلا شك ولا حرج ولا تردد ولا ريب في أحكام الله وأحكام رسوله بل لا بد من التسليم والانقياد التام بحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم ولذلك يقول الله جل وعلا: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم).

فلا مجال للاختيار ولا مجال للتصويت على أحكام الله عز وجل يكفي أن تعرف أن هذا الأمر هو حكم الله فما يكون أمامك تجاه هذا الحكم إلا القبول إلا التذليل إلا الانقياد إلا العبودية لله سبحانه.

وقد عجبت أشد العجب مما يخبر به بعض الطالبات انه يوجد بعض الطالبات يرين أن أحكام الإسلام تابعه للحرية الشخصية وأنها حسب الاختيار، أي إذا صليت فأنا حرة وإذا لم أصلي فهذا يرجع إلى حريتي الشخصية فلست ملزمة بهذا، وإذا تحجبت فأنا حرة في حجابي وإذا تركت الحجاب فكذلك أنا حرة إذا هي حرة إلى هذا المستوى فهي عبده لمن؟! إذا هي ليست لديها العبودية لله سبحانه وتعالى فعبوديتها لمن؟!

أن النفس البشرية فيها ميل وحاجة إلى العبودية فإما العبودية لله وإما العبودية لغير الله ، سواء غير الله هذا كان سلطانا متسلطا ، أو تاجرا غنيا مؤثرا ، أو ملكا حاكما ، أو هوى متبعا ، ولذلك قال الله عز وجل : (أفأؤيئتم من اتخذ إلهه هواه) .

فالهوى قد يكون إلهها يعبد من دون الله عز وجل والشهوة التي يشتهيها المرء فيحققها، هذه إله يعبد من دون الله ، الله يأمرك شيء وشهوتك وميلك تميل إلى شيء آخر ، فتنقاد إلى شهوتك وميلك وتترك أمر الله سبحانه ، هذا من اتخاذ الشهوات والأهواء إله من دون الله عز وجل ، ولذلك ذكرنا أن أعلى درجات الحرية هي العبودية لله سبحانه وتعالى ، ولذلك قلنا بأن الله سبحانه وتعالى وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بلفظ العبودية في أشرف المقامات وأعلاها ومن ذلك:

- ١- أن الله وصف نبيه بالعبودية في مقام الإسراء فقال: (سبحانه الذي أسرى بعبده) ولم يقل برسوله ولم يقل بنبيه وإنما قال: (سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) .
- ٢- وفي مقام الدعوة قال الله عز وجل: (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) ولم يقل انه لما قام رسول الله يدعوه، فوصفه بالعبودية في المقامات الشريفة مما يدل أن العبودية من المقامات العالية.

ولذلك فإن الإسلام هو الاستسلام لله ، هذا معنى الإسلام (أن يستسلم المرء لله)، أما المرأة التي تقول بالحرية الشخصية وإنها حرة فيما تلبس ، وحرّة فيما تفعل ، حرة أن تفعل الصلاة أو تتركها ، حرة في أن تصوم أو تظفر ، حرة في أن تتحجب أو لا تتحجب ، حرة في أن تسمع الغناء أو تسمع القرآن إذن أين هو الإسلام؟

والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، فأين الانقياد والاستسلام؟!
 هذه المرأة لم تحقق معنى الإسلام، ولذلك الاستسلام هو مقتضى الإسلام، مقتضى أن تشهد أن لا إله إلا الله: أن تستسلم لله عز وجل وتنقاد إليه.

ومقتضى شهادة أن محمدا رسول الله: أن تطيعه فيما أمر، وتجتنب ما نهى عنه وزجر عليه الصلاة والسلام.

ولذلك إذا تحدثنا عن مكانة المرأة في الإسلام : فإننا نقول إن دين الله هو الحق ، وما جاء في الإسلام من تشريعات هي الهدى والخير ، لا شك ولا تردد عندنا في هذا ، فلا نحتاج إلى مقارنات بالأُمم الأخرى ، يكفي أن نعرف بان هذا هو الإسلام ، الذي رضيّه الله عز وجل لنا فقال: (ورضيت لكم الإسلام ديناً) وقال : (إن الدين عند الله الإسلام) .

فالدين الحق هو عند الله الإسلام ، ليس هناك دين سواه ، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) .

والمرأة المسلمة تعتز بإسلامها ، تعتز بإيمانها ، تعتز بانتسابها لهذا الدين ، لأنه من عند الله العليم الخبير ، القادر القاهر ، الذي يقول لكل شيء كن فيكون ، وهو الذي خلق الإنسان وهو أعلم بما يصلحه ، (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ، ولا تغتر المرأة المسلمة بدعايات الغرب وأذئابهم في البلاد الإسلامية ، الذين يدعون على التمرد على الدين ، والإعراض عنه ، فيكفي المرأة المسلمة في التزامها أن تكون مطيعة لله ، راضية بدين الله والله راض عنها ، محبة لله والله يحبها ، فيكفيها هذا عزة وشرفاً وسؤدداً ومكانة ، ويكفيها هذا رضا وسعادة وطمأنينة وسعادة في الدنيا والآخرة .

* أما حال المرأة في الديانات المحرفة ، والمناهج الأرضية ، فهي تتناسب مع حجم الضلال الذي وقعوا فيه ، حتى لو أرادوا أن يفتوا للمرأة فإنه ليس عندهم من العلم والفقهاء ومعرفة الخير من الشر ، ما يستطيعوا به أن يوصلوا لها الخير حتى لو أرادوا ، كيف والبشر متهمون في أن يصنعوا نظاماً يوازن بين الحقوق ويعطي كل ذي حق حقه ، البشر أعجز وأحق وأضعف وأقل من أن يستطيعوا أن يضعوا نظاماً للبشرية يعطي الحقوق إلى أصحابها ، ولذلك عند استعراض حال المرأة في الأمم السابقة سنجد أن المرأة مسلوبة الحرية ، ومسلوبة الحقوق المالية والاجتماعية ، المرأة ممتهنة ومهانة ، المرأة مبتذلة تستخدم لقضاء الوطر ، ثم بعد ذلك ترمى ولا تعطى حقوقها ولا تحترم ، ولا توضع في مكانتها اللائقة بها .

المرأة في الحضارة الهندية:

قاصرة ، لا يمكن لها الاستقلال ، مدنسة لكل شيء تمسه ولا بد من حرقها بعد موت زوجها لأنه لا يصح أن تبقى، فلا بد إذا مات زوجها أن تحرق وتقرب على شكل قربان للآلهة.

المرأة عند اليهود:

اليهود يعتبرون المرأة لعنة وأنها هي التي أغرت آدم بالأكل من الشجرة ، وإذا كانت في أيام حيضها فإنهم يعدونها نجسة فلا يؤاكلها ولا يشاربها ولا يجالسوها، وهي محرومة من الميراث.

المرأة عند النصارى:

في النصرانية المحرفة اختلفوا عليها هل هي إنسان أو شيطان ،فالنصارى في معتقداتهم السابقة يشككون في المرأة وأصلها هل هي تصنف من بني الإنسان أو أنها تلحق بالشياطين .

لذلك فان هذه المجتمعات الغربية من اليهود والنصارى تحولوا عن هذه النظرة المغرقة في إهانة المرأة والتقليل من شأنها إلى الجانب الآخر ضد ذلك وهو الجانب الإباضي واستخدام المرأة كسلاح فتاك لإهلاك الأمم ، ولذلك لم تمنح المرأة حقوقها وتوضع في منزلتها اللائقة بها في تاريخ هذه الديانات والمناهج الأرضية.

*** المرأة في أحوال الجاهلية:** التي سبقت الإسلام معدومة الأهلية، تورث كما يورث المتاع، ليس لها حق وإنما عليها واجبات.

يكفي في وصف حالهم أن احدهم إذا بشر بالأنثى لم يستطيع مواجهة الناس من الحزن والخجل ، كيف يواجه الناس وقد رزق بأنثى قال تعالى: (إذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسود وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألساء ما يحكمون).

وكانت المرأة في بعض أحوال الجاهلية إذا أرادت أن تلد على حفرة فإذا كانت فتاة رمتها في الحفرة ودفنتها ورجعت إلى بيتها من غير ولد ، وإذا كان ذكر أخذته واحتضنته ورجعت به إلى دارها، أما إذا كبرت البنت وشبت كان من عادات الجاهلية كما اخبر الله عز وجل أنهم يؤدونها ويدفونها فإذا بلغت من العمر سنتين أو ثلاث سنوات وهذه المرحلة تكون فيها الطفلة تستحوذ على القلب بكلماتها ولطافتها وضحكاتها ، فهي مظنة أن تستحوذ على قلب الأب في تلك المرحلة ، ولكن الأب يأمر أم الطفلة بان تلبسها وتجميلها ليوهمها انه يريد أن تزور أحوالها فيذهب بها إلى الصحراء والى الرمال المتحركة ويحفر لها حفرة ويدفنها ويرجع بعد هذه الجريمة وهو يشعر بالرضى عن نفسه لأنه دفن هذا العار، هذه نظرة الجاهلية، لذلك يقول الله عز وجل: (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت).

وكذلك فان المرأة في الجاهلية ليس لها حق في إبداء الرأي، ولا حتى في أخص خصوصيتها كاختيار الزوج ، وليس لها حق في الميراث والمهر ، وليس لتعدد الزوجات حد معين فالرجل يتزوج ما شاء من النساء وليس للطلاق حد معين إلى غير ذلك من أن المرأة تورث كالمتاع بعد وفاة زوجها، هذه بعض أحوال المرأة في الجاهلية وهذا ليس شيء ندعيه على هذه الديانات بل هو التاريخ ومن يقرأ كتب التاريخ يرى العجب في امتهان المرأة والأضرار بها ومنعها من حقوقها ولما جاء الإسلام وضع المرأة في مكانها الصحيح، لماذا؟ لأن الإسلام هو دين الله الحق الذي ليس فيه محاباة لأحد ولا ميل لجنس دون جنس ، ولو طلبنا من الرجل أن يضع نظام يحكم علاقته بالمرأة فستجد أن الرجل سيضع نظام يحقق مصلحة

الرجل ويضع الحقوق لصالح الرجل والواجبات على المرأة ، ولو طلبنا من المرأة أن تضع نظام تحكم علاقتها بالرجل لوجدنا أن النظام يقف في صالح المرأة وتضع الواجبات على الرجل، أما إذا وضع النظام الله جل جلاله فليس متهماً أن يحيد لجنس معين لأنه هو الذي خلقهما وهو أعلم بما يصلحهما.

ونلخص مكانة المرأة في الإسلام في النقاط التالية:

١- أن الإسلام اثبت كرامة المرأة وإنسانيتها، وبما أن الإنسان مكرم فهي جزء من هذا الإنسان المكرم حين قال الله: (ولقد كرمنا بني آدم) وقال تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها).
٢- الله برأ المرأة من الاتهامات التي ينقلها أصحاب المذاهب والديانات من أن المرأة هي أم المصائب بسبب خروج آدم من الجنة ،وهي التي أغوت آدم ، فنجد أن الله عز وجل يذكر السبب الحقيقي في خروج آدم عليه السلام من الجنة وهو أن الشيطان أزل آدم وحواء وأغواهما حتى أخرجنا من الجنة يقول الله عز وجل: (فأزلهما الشيطان منهما فأخرجهما مما كانا فيه).

٣- أن الله حرم إيذاء المرأة و أودها والتعرض لها بشيء من الأذى وانتقاص الحقوق، ووضعها في مكانتها اللاتقة بها، فليست ولادة الأنثى علامة على السوء، وذكر الله التشاؤم والكرهية على سبيل الذم والتنفير في القرآن الكريم.

٤- أن الإسلام أمر بإكرام المرأة في جميع مراحل حياتها سواء كانت بنت أو زوجة أو أخت أو أم، فهي في جميع أحوالها محل الاحترام والتقدير، فإذا كانت أمّاً فهي ملكة في بيت أولادها تأمر فتطاع وينتذل أولادها بين يديها ويقبلون يديها، وإذا كانت زوجة فقد جعل الله لها حقوق في كتابه الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، حتى في حال كراهية الرجل للمرأة فلا يجوز له أن يظلمها أو يأكل حقها بل إن الله عز وجل يأمره أن يتذكر ما فيها من الصفات الحسنه فيقول الله عز وجل: (و لماشروه من بالمعروفه فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيء، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) ، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا كرهت منها خلق رضيت منها في آخر".

فإذا رأى الزوج من زوجته شيء يكرهه فلينظر إلى بقية صفاتها الحسنه.
وأما البنت فقد رغب الإسلام في رعايتها والإحسان إليها، فجعل من أحسن إلى بناته كن له ستر من النار.

٥- جعل الإسلام المرأة أهلاً للتكليف، فهي مكلفة كما يكلف الرجل، ومجزية كما يجزى الرجل، لا فرق بينهما لا في التكليف ولا في الجزاء قال الله عز وجل: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون).

٦- الإسلام أعطاهم حقوقها المالية وجعل لها استقلالها في الملكية، ليس لأحد حق التصرف في مالها، فالإسلام منحها حق المهر، ومنحها أن ترث من قريبها الميت، ومنحها حق التصرف فيما تملك من المال ولذلك يقول تعالى: (إذا آتيتموهن قنطرا فلا تأخذوا منه شيء، تأخذونه بهتان وإثماً مبيناً وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً). فحرم الله على الزوج والأولياء الأخذ من مال المرأة بغير إذنها وطيبية نفسها ولذلك قال الله: (فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً)، إذا طابت نفس المرأة به، أما أن تؤخذ على سبيل الإكراه فليس لأحد أن يأخذ من المرأة فهي لها ملكيتها المستقلة.

٧- جعل للمرأة حق الاستشارة وإبداء الرأي في الأمور المتعلقة بها، بخلاف حال الجاهلية التي كانت تسلبها هذا الحق، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تتكح البكر حتى تستأذن ولا الثيب حتى تستأمر " ، ولذلك ولو أن الأب زوج موليته بغير إذنها فإن للمرأة أن ترد هذا الزواج، وهذا يدل على قيمة رأي المرأة وأيضاً هي تستشار في أمور الحضانة والرضاعة والله عز وجل يقول: (وإن أرباباً فضلاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما).

بل نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم يشاور أمهات المسلمين في عظام الأمور التي تتعلق بعموم المسلمين. ولما أمر النبي الصحابة في صلح الحديبية أن يحلوا ويحلوا ، سكت الصحابة ولم ينفذوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم حتى كادوا أن يهلكوا ، فدخل النبي على أم سلمة وهو مغضب فسألته أم سلمة عن شأنه، فقال: إني أمرتهم ولم يأتروا ، فقالت: اخرج إلى الناس وأمر بالحلل ولا تكلم أحداً فإنهم إذا رأوك امتثلوا ، ففعلاً لما خرج النبي وأمر بالحلل تكاثر الناس على الحللين حتى كاد إن يقتل بعضهم بعضاً. هذه بعض المعالم التي تدل على تكريم الإسلام للمرأة ونحن لسنا بحاجة لهذا المعنى ، فيكفينا أن نقول انه حكم الإسلام فلا شك أن الإسلام وضع المرأة في المكان الصحيح واحترمها وأكرمها ، وكل أحكام الإسلام خير وهدى.

يجب أن نستوعب قضية مهمة جداً وهي معنى الإسلام ، فمعنى الإسلام هو الاستسلام ، وأنا على يقين بالحق الذي معنا ، لسنا في شك من أمرنا، ولا ريبه في ديننا ، فالذي يتبين أنه حكم الله ليس فيه مجال للاختيار ولا التصويت ولا التناؤب، (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون له الخيرة من أمرهم) ، فلا يوجد مجال للاختيار بعد أن قضى الله أو قضى رسوله صلى الله عليه وسلم ، لذلك حينما يكون الحديث عن محاسن الإسلام أو حول رد الشبهات التي يثيرها الأعداء الحقيقة ليس المقصود بها إقناع المسلم بأن الإسلام هو الحق ، لأنه لا يكون مسلماً إلا بعد أن يستيقن يقيناً لا شك فيه ولا يخالطه ريب أن الإسلام هو الحق وأن ما سواه باطل ، فالمسلم عنده يقين ولكن المقصود هو البيان للناس ودعوتهم إلى الحق ورد الإشكالات المثارة في نفوسهم بطريقة منطقية و بطريقة تاريخية و بطريقة واقعية تناسب المخاطب من حيث الإيمان والتصديق وعدم ذلك.

ولذلك أثير عدد من الشبه ، وهذه الشبه على الأحكام الشرعية لا تصدر من مسلم ، لأن المسلم مسلمٌ ومستسلم لأمر الله عز وجل ، فهو لا يثير الشبه على أحكام الله ، ولكن هذه الشبه في الغالب تثار من قبل الأعداء الظاهرين البينين من الكفار واليهود والنصارى وغيرهم ، ثم يتلقفها الأعداء الخفيون من المنافقين في المجتمع الإسلامي ويروجوا لهذه الشبه ويثيروها من خلال وسائل الإعلام كالصحافة والقنوات الفضائية والإعلامية المختلفة ، أو يتلقفها جاهل لا يعرف هذا الدين ولا طبيعته فقد تروج لديه بعض الشبهات وتعلق بقلبه ، فهؤلاء جميعاً يحتاجون إلى بيان وإلى مدافعة وإلى إظهار للحق، أما المسلم المستيقن بما عنده من الهدى فهو ليس بحاجة إلى هذه المعاني فقد استقر في قلبه الإيمان الجازم بأن هذا الدين هو الحق الذي رضي به الله سبحانه وتعالى وأن الله سبحانه لا يقبل من أحد ديناً سواه (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) .

ومن تلك الشبه المثارة في هذا العصر:

١- الشبهة الأولى: عمل المرأة

ق، قالوان المرأة معطلة في المجتمع الإسلامي، وأن مجتمعنا يتنفس برئة واحدة -لماذا؟، قالوا لأن المجتمع له رتان الرجل والمرأة ، والرجل يعمل والمرأة معطلة فالرئة الأخرى معطلة ، ويتكلمون بأن نص المجتمع معطل و إلى غير ذلك

..

الرد:

أ- الأمر الأول للرد على هذه الشبه هو أن نوضح ما هو مفهوم العمل؟

هل مفهوم المرأة العاملة هي المرأة الأجيبة التي تعمل بأجر؟ ، وهل المرأة العاملة التي تقوم بمهمتها الرئيسية وتدير مملكتها وتقوم بواجبات كثيرة ومهمة، هل هذه تعتبر عاطلة؟!

يعني لو أن المرأة خرجت إلى العمل وجاءت بمربية للأطفال وحاضنة للرضع وخادمة لتنظيف البيت، فجعلت بدلها ثلاث وظائف في البيت !

فهذه تعتبر عاملة عندهم -لماذا؟- لأنها خرجت من بيت، والنساء اللواتي يعملن مكانها في البيوت تعتبر عندهم عاملات -لماذا؟- لأنهن أجيبرات!

فماذا لو تركت تلك المرأة عملها في الخارج وقامت بمهام هذه الموظفات الثلاث ؟ ، يعتبرونها عاطلة ! ، عجباً لهم هي تقوم بأربع أو خمس وظائف في دارها ويعتبرونها عاطلة!! ، لأنها لم تخرج من بيتها ! ، هذا مفهوم خاطئ لعمل المرأة.

فعمل المرأة هو المفهوم الإيجابي المنتج سواء كان هذا في بيتها أو خارج بيتها، والأصل في المرأة هو القرار في البيت، وهذا هو الذي شرعه الله لها وهو أعلم بحالها، فكيف تعدون بقاءها في البيت تعطياً لها؟! وخروجها دليلاً على أنها عاملة؟!

هذا بسبب سوء الفهم لعمل المرأة ، فالعمل الحقيقي هو الأداء الإيجابي ، والوظيفة الرئيسية التي تقوم بها المرأة هي مسؤولية كبيرة ، وهي إدارة هذه المملكة وتخريج الأجيال ، وتنمية المهارات والطاقات الموجودة في البيت ، لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن تحديد المسؤوليات : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته...والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيته " .

فالعاملة في الحقيقة ليست هي الأجيبة فقط، العمل هو الأداء الإيجابي لخدمة المجتمع والقيام بالواجبات، وليس بالضرورة أن تكون مأجورة حتى تعتبر عاملة وإذا لم تكن مأجورة تعتبر عاطلة! ، هذا فهم خاطئ سقيم لعمل المرأة. وبناء على ذلك نقول أن المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي هي امرأة فاعلة، عاملة بحق، وهي عاملة في ميدانها لم تترك هذا الميدان إلى ميادين أخرى بل هي تعمل في الميدان المناسب والملئم لها.

ب- الرد الثاني: أن عمل المرأة خارج البيت ليس هو الأصل، بل الأصل هو قرارها في بيتها، والوظيفة الأساس للمرأة هي إدارة هذه المملكة-مملكة البيت-، والخروج حالة استثنائية لا يمنع منها الإسلام، ولكنه نظمها ورتبها.

وحيثما يتحدث المتحدثون عن عمل المرأة، فإنهم يتحدثون عن المرأة الأرملة التي لها من الأولاد-بنين وبنات- كيف سيكون وضعها؟

ثم تجدهم يتكلمون عن عمل المرأة بشكل واسع ! فهل كل المجتمع أرامل حتى تحتاج المرأة للخروج للعمل ، هذا أمر .

ج- الأمر الثالث: أصلاً المرأة في الإسلام ليست مسئولة عن النفقة ، ليس من مسئوليتها أن تخرج للعمل لتتفق ، بل **يجب الإنفاق عليها من وليها كزوجها ،** وإذا كانت أرملة ينفق عليها أبوها أو من يقوم بشئون ولايتها ، فإذا كان أبوها فقير ولا يستطيع أن ينفق عليها ، فإنه يجب الإنفاق عليها من بيت مال المسلمين ، فلا تخرج المرأة للعمل من أجل النفقة ، بل يجب على بيت مال المسلمين أن ينفق على المحتاجين من المسلمين سواء كانوا رجالاً أو نساء ، فكل من يحتاج من المسلمين له حق في بيت المال ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب يفرض لكل مولود في الإسلام ، ويجري عليه راتب من بيت المال ، فكيف بالمحتاجين في المجتمع المسلم؟
يجب على الحكام أن ينفقوا على المحتاجين وبخاصة الأرامل والأيتام وغيرهم.

د- الرد الرابع: وليس معنى هذا أن المرأة لا يمكن أن تخرج للعمل ، فلها أن تخرج للعمل ولكن بضوابط وشروط مناسبة ، فالإسلام كرم المرأة وصانها عن أن تبتذل لتحصل شيء من المال لتتفق على أولادها ، وكفل لها حق النفقة سواء في مال زوجها أو مال وليها أو في بيت مال المسلمين ، وهذا من تكريم الإسلام للمرأة حيث جعل نفقتها على الولي ، سواء كانت الولاية عامة كالحكام أو خاصة كالزوج والأب.

إلا أنه قد تحتاج المرأة للخروج للعمل أو يحتاج المجتمع إلى المرأة لتعمل، وحين ذلك فالإسلام لا يمنع من العمل لكن بضوابط وشروط شرعية مهمة جداً للحفاظ على المرأة والمجتمع، **ومن هذه الضوابط:**
أولاً: إذن وليها في ذلك، سواء كان زوجها أو أبوها فلا بد أن تستأذنه أولاً.

ثانياً: أن يكون مقر العمل خالياً من الاختلاط و الخلوة بالرجال لأن هذه من الأمور المحرمة شرعاً.

ثالثاً: أن تلتزم المرأة بالحجاب الشرعي عند خروجها سواء للعمل أو لغيره كأن تخرج لزيارة أو محاضرة أو السوق...

رابعاً: أن لا يستغرق العمل جهدها ووقتها عن القيام بواجباتها الشرعية في بيتها ، كالقيام بشئون البيت ورعاية الأولاد والزوج ، فلا يصح أن تترك هذا الواجب لعمل أقل من الواجب أو غير واجب.

خامساً: أن يتناسب العمل مع طبيعة تكوينها وفطرتها فلا يصح أن تكلف بالعمل ما لا تطيق، كأن تكلف بقيادة الشاحنات أو بأعمال البناء أو إصلاح السيارات ! ، فكل هذه الهام لا تتناسب مع طبيعة المرأة.

لذلك فإن المجتمعات التي خالفت فطرة الله ونقضت الأصل الذي قام عليه المجتمع ، وهو أن الأصل بالمرأة القرار في بيتها ، فخرجت المرأة مبتكرة طريق الهداية ، وإذا بها في النهاية تعلن بعد تجربة مريرة وبعد صراع داخل المجتمع وبعد

اختلاط بالرجال ولهث وراء الوظيفة ، وإذا بالمرأة في الغرب تعلن أنها تطلب العودة إلى البيت ، وأنها تريد أن تؤدي وظيفتها في منزلها ، ومن النماذج على ذلك امرأة كانت من الكاتبات الشهيرات في الصحافة والإعلام الكويتي ، وكانت هذه المرأة من المناضلات في طلب الخروج من المنزل في الكويت ، فتتحقق للمرأة في الكويت ما كانت تناضل له ، فخرجت المرأة وشاركت الرجال في كثير من الأعمال وأدارت بعض المؤسسات وبعض الأقسام ، وأمضت أكثر من عقدين من الزمن في العمل المختلط والعمل خارج المنزل ، وفي النهاية تعترف بالفشل وأن كل هذا كان في مواجهة الفطرة التي خلق الله المرأة عليها ، وتعلن هذه المرأة أنه الحل والخير للمرأة أن تعود إلى بيتها ، مع أنها هي نفسها كانت تطالب ومارست عقدين من الزمن في وظائف ، فثبت لها بالتجربة العملي الواقعية خطأ ما كانت تدعو له.

الشبهة الثانية: أن شهادة المرأة هي نصف شهادة الرجل

وأن هذا يدل على انتقاص الإسلام للمرأة، والتهويل من شأنها، والتقليل من إنسانيتها وكرامتها و يقولون أن ذلك موجود في القرآن الكريم.

الرد

١. أن كون شهادة المرأة هي نصف شهادة الرجل هذا صحيح، وقد ورد في القرآن الكريم (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضرل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى).

٢. أن هذا ليس في جميع أمور الشهادة ، بل في أمور الشهادة المتعلقة بالحقوق والجنايات مما هو ليس من اختصاص المرأة ولا من ضمن اهتمامها ولا محل عنايتها ، وكون هذه الأمور ليست محل اهتمامها هذا يجعلها غير مدققة ولا مدركة للتفاصيل ، لأنها أصلاً لم تلتفت إليها ولا اعتنت بها ، ولذلك لما ورد بالقرآن أن شهادة المرأة هي نصف شهادة الرجل علل ذلك فلم يقل لهوانها ولا لقلّة شأنها ولكن (أن تضرل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى).
فالمشكلة ليست في الكرامة الإنسانية بل في مسألة الضبط ، وسبب عدم الضبط ليس لقلّة شأنها وإنما عدم اهتمامها بهذه الأمور وعدم عنايتها والتفاتها إليها.

والدليل على ذلك أن شهادة المرأة في الأمور المتعلقة بالنساء مقدمة على شهادة الرجل ، وللرجل في ذلك أن يشتكى ويقول هذا امتهان له ، كيف تقدم شهادة المرأة على شهادة الرجل ، فنقول أن الشهادة أمر ليس متعلق بالكرامة الإنسانية ، ولكنه متعلق بمسألة الضبط والوفاء بحق الشهادة ، لذلك فإن المسائل المتعلقة بالمرأة مثل إثبات البكارة وعدمها ومثل

قضية الحضانة والعدة وغيرها ، فإنه تقدم فيها شهادة المرأة على شهادة الرجل ، بل يقبل فيها شهادة امرأة واحدة ، مع أنه لا يوجد مجال واحد يقبل فيه شهادة رجل واحد أبداً.

٣. أن المرأة عاطفية وتتأثر بموقف الجاني والمحكوم عليه فقد تضعف في موضع الشهادة ضده شفقة ورحمة ، وهذه الشفقة والرحمة ليست أمراً سلبياً ، بل هي من مواصفات المرأة التي تجعلها ملائمة لأداء وظيفتها الرئيسية و تكون مكملة للرجل وحتى تشفق على أولادها ولذل نجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد قدم حق الأم على حق الأب وجعله مضاعفاً ، فعندما سأله رجل : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أبوك.

ف نجد أن حق الأم عظيم لما تقوم به من الرعاية ولما جبلها الله عليه من الشفقة والرحمة والتي لا تتناسب مع إقامة الشهادة في موضوع الجنايات التي قد تؤدي فيه الشهادة أحياناً إلى القتل أو قطع اليد وغيره.

الشبهة الثالثة: أن دية المرأة هي نصف دية الرجل:

وأن هذا في تقليل من شأن المرأة وامتدائها فكيف تكون ديتها هي نصف دية الرجل.

الرد

١. أن الإسلام سوى بين الرجل والمرأة في الكرامة الإنسانية، فكلاهما-الرجل والمرأة- داخل في قول الله تعالى: (ولقد حرّمنا بني آدم).

ولذلك فإنه في حالة الاعتداء على النفس و القتل، فإن القاتل يقتل سواء قتل رجلاً أو قتل امرأة، وهذا يدل على المساواة في الكرامة الإنسانية.

بالنسبة للدية فهي ليست مقابل أمر معنوي وهو أمر الكرامة الإنسانية سواء للمرأة أو الرجل ، وإنما لها أمر آخر ، فلها جانب مادي وهو تعويض الأسرة عن فقيدتها ، فإذا كان رجلاً فإنها فقدت عائلاً مطالباً بالإنفاق عليه مسؤوليات مالية ، ولذلك كانت ديته أكثر من دية المرأة التي ليست عليها تبعات مالية وليست مناطاً بها القيام بالإنفاق .

ولذلك الأسرة إذا فقدت رجلاً فإنها تفقد جانب معنوي مهم وتفقد جانب مادي -وهو الإنفاق-، وإذا فقدت الأسرة المرأة فإنها تفقد جانب معنوي مهم ولكنها لا تفقد جانب مادي لأنها ليس مناطاً بالمرأة الإنفاق.

لذلك هذه الزيادة في دية الرجل هي مقابل هذا الجانب المادي وليس مقابل الكرامة الإنسانية ، علماً أن من أهل العلم من يرى أن دية المرأة هي مساوية لدية الرجل وليست على نصف دية الرجل ، وإن كان القول الراجح هو أن دية المرأة على نصف دية الرجل للاعتبار الذي ذكرناه وليس لاعتبار الكرامة الإنسانية.

أما في حالة القتل والقصاص فيقتض من الجاني سواء كان رجلاً أو امرأة، قال الله عز وجل: (وَكَتَبْنَا لَهُمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا) . هكذا دون التفريق بين الرجل والمرأة، ولذلك فقد قضى النبي عليه السلام في دية الجنين بغرة عبد أو أمة سواء كان هذا الجنين ذكراً أو أنثى دون التفريق بينهما لأنه ليس مناط به الإنفاق فهو جنين في بطن أمه.

الشبهة الرابعة: تعدد الزوجات:

وقد أثبتت هذه الشبهة من عدة جوانب:

١. أن هناك من يقول بأن الإسلام لا يبيح تعدد الزوجات ، ويستدلون على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى شرط جواز التعدد بالعدل فقال: (فَاَنْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) ، فجعل التعدد مناط بالعدل ، وقالوا أن الله قد ذكر في موضع آخر أن العبد لا يستطيع العدل ، وبالتالي لا يجوز له أن يعدد ، قال تعالى: (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ) ، فإذا كان شرط العدل هو التعدد ونحن لن نستطيع العدل ، إذن لا يجوز التعدد.

ونرد على ذلك : بأن الإسلام يبيح تعدد الزوجات ، (فَاَنْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أُذُنِي أَلَّا تَعْوَلُوا) ، فمن يخاف على نفسه عدم العدل في الجانب المادي الذي يستطيعه فلا يجوز له التعدد ، فالعدل المشروط في الآية هو العدل المادي المتعلق بالمسكن والمأكل والمشرب والملبس والمبيت والمعاملة الظاهرة والتحكم فيها، هذا هو العدل المطلوب لأنه يستطيعه ، أما الشيء الذي لا يستطيعه فهو لا يطالب به أصلاً في الشرع ، وأما الآية التي قال الله فيها (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ) ، فهذه متعلقة بالعدل في الحب والميل القلبي الذي لا يملكه المرء لذلك قال الله عز وجل: (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ) - لو كان على مفهوم من آثار الشبهة وأن الإسلام يمنع التعدد لكان تكملة الآية فلا تعددوا ، ولكن التكملة هي (فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَكْفُورُوا كَالْمَعْلُوقَةِ) يعني فاحرصوا على مدافعة واجتتاب هذا الأمر ، المقصود أن الإنسان لا يستطيع السيطرة ولكنه يدافع هذا الأمر، و يجاهد في تحقيق العدل ما أمكن ذلك ، أما العدل بالتمام فهذا لا يملكه حتى النبي عليه السلام

، فقد كان يميل عاطفياً وحباً لعائشة رضي الله عنها أكثر من بقية زوجاته ، فكان يقول عليه السلام : " اللهم هذا قسمي ، فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك " ، أما العدل في الأمور المادية كالنفقة والسكنى والمبيت فهذا لا بد منه ولا يعذر في تركه ، وإذا كان لا يستطيع القيام به لأي اعتبار إما لنقص المال أو غيره فلا يعدد .

فإذا قلنا بأن الإسلام يجيز تعدد الزوجات وأنه مشروط بالعدل وألا يزيد عن أربع ترد شبهة أخرى وهي:
 ٢. أن التعدد دليل على امتهان المرأة والتسلط عليها ، ويقولون أن التعدد يؤدي إلى الخصام و الشقاق والبغضاء في الأسرة الواحدة ، ويثيرون أن التعدد يؤدي إلى كثرة النسل مما يصعب معه التربية والتعليم ، فيؤدي إلى انحراف المجتمع وشيوع البطالة فيه.

*وقضية التعدد هي قضية مثارة خاصة في الغرب ، فأول ما يعلق بذهن المرأة الغربية إذا عرفت بأنك مسلم تقول أنتم إذن تبيحون تعدد الزوجات ، فهم يرون أن ذلك من مساوئ هذا الدين ، فنرد عليهم بملء أفواهنا أن قضية التعدد هي من محاسن الدين الإسلامي ، ونحن لا نستحي ولا نستكف عن هذا الحكم الشرعي ، بل نعتز به ونعلنه حتى في المجتمعات الغربية ، أن الإسلام يبيح تعدد الزوجات إلى أربع ونذكر الضوابط ونقارن هذا بما يجري في مجتمعاتهم ، وكيف أن الإسلام عالج المشكلة بهذه الطريقة خلاف الحال في المجتمعات الجاهلية.

**التعدد ليس من صنع الإسلام بل هو موجود في المجتمع الإنساني قبل الإسلام وبعده فقد كان العرب في الجاهلية: يعددون بدون حد فكان الرجل يتزوج العشر وكلهم في عصمته.

وكان الناس في الهند والصين وأفريقيا وغيرها: يعددون بدون قيد، بل إن التعدد موجود الآن في بعض المجتمعات بدون قيد، ونحن لا نقول بأن الإسلام عندما جاء ووجد التعدد أقره، لا، لأنه جاء إلى أشياء موجودة ونقضها وردها وأبطلها.

ولذلك(من الأمرين السابقين) نقول بأن المجتمع الإنساني -وليس الإسلامي- معرض لعدد من الضرورات والمشكلات الاجتماعية لا يمكن حلها إلا عن طريق التعدد ومن هذه الضرورات:

١- ازدياد عدد النساء على الرجال لكثرة المواليد منهن ولوجود الحروب التي تفني الرجال.
 فهذه المشكلة تحل إما أن تبقى المرأة بدون زوج أو تكون زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة.

٢- إن حاجة الأمة مستمرة إلى التكاثر وكثرة النسل هي من نقاط القوى في الأمم والمجتمعات لذلك نجد أن الرسول صلى الله علي وسلم يقول : " تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثر بكم الأمم " ، ولذلك فإن المجتمعات الغربية التي تنتقد على

المجتمعات الإسلامية كثرة النسل ، نجدها تغري أبناءها بكثرة النسل وتعطي مقابل كل مولود مصروف دوري وشهري لكل مولود للرجل الغربي ، وهم ينتقدوننا لأن هذا يغيظهم وهم يريدون أن يقل عدد المسلمين.

٣- المرأة قد تكون مريضة أو عقيم ، وفي هذه الحالة إما يتزوج عليها زوجها أو يطلقها وتبقى عالة في المجتمع بلا زوج ، فمن الإكرام لهذه المرأة بقاؤها في عصمة زوجها ، ولذلك أم المؤمنين سودة بنت زمعة لما كبرت سنها ، وضعت عن الوفاء بحاجة النبي صلى الله عليه وسلم ، خشيت أن يطلقها النبي عليه السلام ، فطلبت منه أن تبقى في عصمته وتهب ليلتها لعائشة عليها السلام ، وفعلا هذا ما حصل.

٤- قد يكون الرجل كثير الأسفار ، ولا يستطيع اصطحاب زوجته وأولاده بكل أسفاره ورحلاته، فيحتاج للزواج.
٥- بعض الرجال قد يكون لديه قوة جنسية، فلا تكفيه زوجة واحدة، وبخاصة المرأة يعرض لها من ظروف الحيض والحمل والولادة والنفاس والمرض وغيرها من العوارض، ففي هذه الحالة إما أن يعدد أو يقع في الحرام.

المقصود أن هذه الضرورات وغيرها موجودة في المجتمعات الإنسانية، فالسؤال هو كيف عالجت المجتمعات الإنسانية هذه الضرورات ؟ وكيف عالجها الإسلام ؟

فالمجتمعات الإنسانية الضالة تركت للرجل المجال لاتخاذ الخليلات والعشيقات من غير عدد، زوجة واحدة ومائة عشيقة!! وهذا فيه ظلم للمرأة ، وفساد وانحراف للمجتمع ، فهذه المرأة-عشيقتها- عندما تكون جميلة أو محل رغبة الرجل ، قد يعتني فيها وينفق عليها ،ولكن حينما يمتص نضارتها ويذهب بريقها وجمالها يرميها على قارعة الطريق وليس لها أي حق ، أليس هذا ظلم للمرأة وغبن وامتهانها ؟ أيه أفضل حال هذه المرأة أو امرأة أخرى في عصمة رجل ،ولها حقوق من نفقة وسكن وكسوة ومبيت مثلها كجارتها؟ أي هذا وأي الإسلام؟؟

المقصود أن المجتمعات الإنسانية عالجت المشكلة معالجة خاطئة زادت من المشكلة نفسها ، وجعلت المشكلات تتفاقم والأمراض تنتشر بشكل أكبر ،أما الإسلام-دين الله الحق- عالج هذه المشكلة بطريقة التعدد لكن بضوابط :

١. القدرة على العدل.
٢. لا يزيد عن أربع.

٣. لا بد أن يعطي لكل زوجة حقها، فلا يحرمه من حقها، ولا يعتدي على شيء من حقوقها.
ثم بعد ذلك إذا ضاقت المرأة من زوجها فلها أن تطلب الخلع منه ، فإذا رأت أن عيشها ليس هنيء في وجود التعدد فلها أن تطلب الفراق والخلع.

أما بالنسبة لأن التعدد يفضي للخصام ، فللرد على هذه الشبهة نقول بأن الخصام موجود في كل المجتمعات الإنسانية بشكل عام ، والإسلام جعل هناك معالجات للخصام والمشاحنة إن وجد ، وفي الغالب الخصام ينشأ عن تقصير الزوج في العدل الذي أمره الله به ، فما ينشأ من مشكلات هو نتيجة المخالفة لأمر الله ، فيطالب الزوج بالقيام بأمر الله، وهذا مما يقلل حالات الاختلاف والخصام وإن كانت موجودة في حالة التعدد أو عدمها.

أما بالنسبة لكثرة النسل ، فهذا أمر إيجابي وليس سلبي بل هو مطلب ، وقد أمر الله تعالى برعاية الأولاد -من بنين وبنات- والإحسان إليهم وتربيتهم تربية صالحة وعدم تركهم هملاً ،قال الرسول عليه السلام : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " ، وقال تعالى : (**هَوَآ أَنفُسَكُم وَأَهْلِيكُم نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْعِبَادَةُ**) إلى غير ذلك من النصوص التي تأمر بتربية الأولاد.

المقصود أن التعدد شريعة من الله عز وجل من محاسن الدين الإسلامي مقارنة بالأوضاع في الدول والمناهج الأخرى ، والمرأة ليس لها إلا أن تسلم بحكم الله وتتنقاد له ، ولكن كون المرأة تكره أن يتزوج عليها زوجها ليس هذا أمراً ممنوعاً ، بل هو أمر فطري هذه الكراهية وهذه الغيرة لا تؤاخذ عليها ،-،فلا يدفعها هذا إلى رفض هذا الحكم والتكذيب له والإنكار له ، لكن ليس لها ولا يصح لها أن تنكر هذا الحكم الشرعي-جواز التعدد-، ولتعلم أنه لو كانت ذات زوج فهي حريصة على التعلق به لكن ماذا لو لم يكن لديها زوج ، تتمنى لو تكون الزوجة الثانية أو الثالثة أو حتى الرابعة ، فالإسلام جاء بخيري الدنيا والآخرة.